

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري - تيزي وزو -

كلية اللغات و الآداب

قسم الأدب العربي

التخصص: اللغة و الأدب العربي.

الفرع: بلاغة و خطاب.

مذكرة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب: الحسين سونه

الموضوع:

تلقي البلاغة الجديدة في النقد المغربي

لجنة المناقشة:

أ.د/بوجمعه شتوان، أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....مشرفاً ومقرراً
أ.د/ آمنة بلعلی، أستاذة التعليم العالي، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... رئيساً
د/ الوناس شعباني، أستاذ محاضر صنف "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... عضواً ممتحناً
د/ سامية داودي، أستاذ محاضر صنف "ب"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... عضواً ممتحناً

تاريخ المناقشة: /... /... / 2013

إهداء

إلى الوالدين الكريمين، إلى عمي أحمد، خير سند لي في محني، إلى زملائي و زميلاتي، إلى أساتذتي الأفاضل، أطال الله بقاءهم بيننا و تغمد برحمته من أدى الرسالة منهم و تركها عبئاً نفخر بتحمل تبعاته في سبيل العلم.
إلى كل من يشقى في النعيم بعقله.
أهدي هذا العمل المتواضع.

شكر وعرفان

أملأ في كوننا كراما، واتقاء اعتبارنا لنا، ووجب علينا أن نجزل الشكر لكل من كان لنا على إنجاز هذا العمل عوناً، ولا أحقّ به من المولى عز وجل فلك، اللهم، الحمد على ما أنعمت علينا من عظيم المنّة، وليس من المجاملة أن ننوّه بما أفاده بنا الأساتذة الكرام الذين أشرفوا على تكوين شعبة البلاغة والخطاب دفعة 2009، يتقدمهما الأستاذ المشرف بوجمعة شتوان، الذي لم يتوان في متابعة هذا العمل والحرص على إخراجها بالشكل المراد، ناصحا وموجها، كما ننثي عليه لمأجور عنائه وجميل صبره، دون نسيان كل الزملاء والزميلات الذين كانوا لنا نعم السند، فلم يبخلوا علينا بالمراجع والنصح... فلهم منا على ذلك كل الثناء .

مقدّمة

مقدمة:

لقد شاع في مرحلة فكرية ليست ببعيدة أنّ البلاغة قد استنفذت طاقاتها، ولم يعد بالإمكان إلّا تلقينها كما جاءت عن الأولين دونما نقد ولا تمحيص ولا إضافة ولا تعقيب. وشاع في حق البلاغة كثير الأقاويل المنادية بموتها، والتي تباع معارف نقدية ولغوية أن تحل محلها، مثلما شاع القول بأنّ الأسلوبية هي بلاغة المحدثين، وينطبق هذا القول على الفكر الغربي كما ينطبق في الآن ذاته على الفكر العربي، إلّا أنّ البحث النقدي المعاصر قد أثبت مدى تهافت هذا الحكم وتحول تحولاً مباشراً إلى الدرس البلاغي وكان هذا الارتداد إلى الدرس البلاغي ناتجاً عن تحولات إبستمولوجية مست بنية الحضارة الغربية، أثرت في مفهوم اللغة والنقد والبلاغة. وظهر بناءً على هذا التحول المعرفي ما يعرف في معجم النقد المعاصر باسم البلاغة الجديدة، والتي تحوي في طياتها عدة توجهات كتوجه البلاغة المعرفية والأسلوبية و الشعرية و التأويلية والحجاج.

إنّ القول بظهور نمط جديد من التفكير البلاغي، لا يعني بحالٍ من الأحوال تقويض الدرس البلاغي القديم، ولا تهديم أسسه، إنّما فتح الدرس البلاغي على ميادين جديدة وتخليصه من التّمطية التي جعلته حبيس التلقين المدرسي، وفق نماذج ثابتة وبنى قارة بل وحتى أمثلة جاهزة. وتنبري أبحاث كل من بيرلمان وجون كوهن و ريتشاردز ولايكوف وغيرهم لهذا الهدف، إذ سعوا إلى كسر ذلك الجمود وفتح البلاغة على كل مجالات الاستعمال اللغوي، بما في ذلك لغة السياسة والاقتصاد وسائر طرائق الاتصال و أشكال التواصل، كما سعوا إلى تبيان ما يمكن للبلاغة أن تستوعبه من مفاهيم وما تشمله من حقول معرفية بعد أن كان الجانب الجمالي هو وحده محط الاهتمام مع إهمال الجانب المعرفي، أو تبيان حتى خطورة البلاغة، كما جاء على لسان كل من جورج لايكوف ومارك جونسون في كتاب الاستعارات التي نحيا بها، والاستعارات التي تقتل، ورغم هذا التغير الذي مس التفكير البلاغي الغربي، إلّا أنّه ظل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالدرس البلاغي القديم وبالأخص البلاغة اليونانية أو بالأحرى البلاغة الأرسطية. وبما أننا نعيش عصر المعلوماتية و حوار الثقافات والحضارات، كان من المسلّم به أن يتأثر الدرس البلاغي العربي عمومًا والمغاربي خصوصاً بتيّار البلاغة الجديدة، فاهتم بعض الدارسين المغاربيين بأعمال الترجمة والنقل والاقتباس،

وتجاوز بعضهم ذلك إلى إعادة قراءة التراث البلاغي العربي على ضوء مكتسبات البلاغة الجديدة ومثل هذا كتاب البلاغة العربية أصولها وامتداداتها لمحمد العمري، وكتاب التفكير البلاغي عند العرب لحماي صمود.

غير أنّ هذا النقل يصطدم بإشكالات عديدة، مثلما هو الحال مع جميع الاتجاهات النقدية الغربية التي نُقلت إلى الثقافة العربية. تتصل من جهة بطبيعة المنهج ذاته، وتتصل من جهة أخرى بخصوصية الحضارة العربية، و بحساسية كثير من القراء العرب من كل ما هو وارد خاصة في الحقل الثقافي من منطلق سؤال يبدو مشروعاً، و هو: ماذا ننتظر من مشروع ثقافي مصدره ذلك الذي استباح دماغنا واستنزف اقتصادنا و سخر من مقوماتنا و...مما يفرض على البلاغي العربي مراعاة المرجعيات الفكرية و الفلسفية للمنقول منه و الاعتبار نفسه بالنسبة إلى المنقول إليه وهذا الأخير -أي الحضارة العربية- يتفرع الإشكال فيه إلى قسمين، النص التراثي والنص الحديث والمعاصر. وهذه القضايا التي تثيرها البلاغة الجديدة، في نقلها وتوظيفها في الخطاب النقدي العربي، هو ما دفعنا إلى اختيارها موضوعاً للبحث، تحت عنوان "تلقى البلاغة الجديدة في النقد المغاربي". يثير هذا العنوان تساؤلين اثنين الأول: لماذا تلقي؟ فنجيب عن هذا بقولنا: إنّ البلاغة الجديدة ناتجة عن ظرف حضاري غربي، وبالتالي فإنّ النقل يخضع للفهم العربي، ثم إنّما يتم توظيفها وفقاً لذلك الفهم. ولا أدلّ على مثل هذا الوضع من مقولة التلقي.

الثاني: لماذا النقد المغاربي بالتحديد؟ ونجيب على هذا كذلك بقولنا: إنّ هذا الإشكال مؤوود في مهده لسببين، موضوعي وذاتي، أما الموضوعي فهو أنّ جل الدراسات العربية في ميدان البلاغة الجديدة هي دراسات لنقاد مغاربة، من أمثال محمد العمري ومحمد الولي وحماي صمود، وأما الذاتي فهو رغبتنا في الاهتمام بالنقد المغاربي، الذي درجنا فيما مضى على تهميشه والاهتمام بالإنتاج المشرقي على حسابه.

نهدف من خلال هذا البحث إلى الإجابة على العديد من الإشكالات المتعلقة بالبلاغة

الجديدة والنقد المغاربي:

ماهي البلاغة الجديدة؟

ما هي المفاهيم المتعلقة بها؟

ماهي أهم القضايا التي تختلف فيها البلاغة الجديدة عن البلاغة القديمة ؟
كيف استثمر النقاد المغاربة مفاهيم البلاغة الجديدة؟

أية علاقة يمكن أن تربط بين التراث البلاغي العربي والبلاغة الجديدة ؟

ومحاولة منا للإجابة عن هذه الإشكالات ارتأينا تقسيم بحثنا إلى فصلين اثنين:

الفصل الأول: خصصناه لتقصي مفاهيم البلاغة الجديدة في النقد الغربي، وقد اخترنا العمل وفق نماذج لنقاد غربيين، بدأنا بالحديث عن مفاهيم البلاغة اليونانية عند أرسطو وقد يعترض علينا معترض بقوله: ما علاقة أرسطو ببلاغة تسمى نفسها بالجديدة، فنقول: لقد سبق أن بينا أنّ البلاغة الجديدة ليست تدميراً لأسس البلاغة القديمة، ولا هي إنكار لمنجزاتها، أو تقويض لأسسها، فالبلاغة الأرسطية كانت، و ستبقى قيمة ثابتة ومرجعية قارة في كل الأبحاث البلاغية، إنّما المقصود بالتجديد ما هو إلا توسيع لأفقها، وبالتالي فإنّ البلاغة القديمة وبالتحديد بلاغة أرسطو تبقى أصلاً من أصول البلاغة الجديدة.

ثم تطرقنا إلى الشكلايين الروس بقصد الحديث عن علاقة البلاغة بالأسلوبية، التي قيل عنها أنّها بلاغة المحدثين، واختبار مدى سلامة هذا القول، وبعد هذا الطرح ننتقل إلى الحديث عن نماذج للبلاغة الجديدة، والتركيز في كل نموذج على توجهه الخاص. فبدأنا بالحديث عن بلاغة بيرلمان الحجاجية، ثم البلاغة العامة عند جماعة هو البلجيكية، يليه اتجاه البلاغة والشعرية عند جون كوهن، فاتجاه البلاغة والفلسفة عند ريتشاردز، ثم اتجاه البلاغة باعتبارها استعارات حسب جونسون و لايكوف ثم اتجاه البلاغة والتأويل عند بول ريكور.

الفصل الثاني: تطرقنا فيه إلى امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغربي، واشتغلنا في هذا البحث وفقاً لنماذج محددة فتطرقنا أولاً إلى حمادي صمود وتاريخه لأصول التفكير البلاغي عند العرب مركزين على الجانب الحجاجي فيه، ثم عرجنا على محمد العمري مركزين كذلك على الجانب التاريخي عنده مع مقارنته بنموذج حمادي صمود بالإضافة إلى تطرقنا لأهم ترجماته في مجال البلاغة، مع جمعه بين التخيل والتداول وفي الأخير تطرقنا إلى علاقة البلاغة بالسيميائيات عند أحمد يوسف.

وأردفنا في عقب هذين الفصلين خاتمةً عرضنا فيها أهم نتائج البحث، كما افتتحنا كل هذا بمقدمة فصلنا فيها طريقة اشتغال البحث والمنهج المتبع فيه.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على مراجع متنوعة بين غربية وعربية مترجمة وغير مترجمة، وأهم هذه المراجع، كتابا البلاغة العربية أصولها وامتداداتها و البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول لمحمد العمري، وكتاب التفكير البلاغي عند العرب لحمادي صمود و كذا السيميائيات الواصفة و الدلالات المفتوحة لأحمد يوسف.

وأما عن المنهج المتبع واستجابة لضرورة طبيعة الموضوع، فقد اتبعنا المنهج الوصفي حين عرضنا بعض اتجاهات البلاغة الجديدة وروافدها، مع العمل على إبراز المرجعيات الفكرية المؤسسة لها، كما عملنا على شيء من مقارنة هذه الاتجاهات فيما بينها، لمحاولة الوقوف على بعض ما تتفق فيه و ما تتقاطع فيه. كما حاولنا في الفصل الثاني إبراز البعد التاصيلي الذي عمل عليه النقاد المغاربة في دراساتهم، على اختلافها. لإيجاد مبررات تسوغ هذا التناقف.

وما يجدر بنا الإشارة إليه، هي الصعوبات التي اعترضت مسار هذا البحث، والتي يرتبط أغلبها بندرة المراجع، خاصة الأجنبية منها، مع حتمية الاعتماد على المراجع غير المترجمة أحياناً. بالإضافة إلى انشغالاتنا الوظيفية. وأخيراً وجب علينا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المشرف، وجميع الأساتذة وكل من أعاننا في هذا البحث بقليل أو بكثير.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

- 1/ البلاغة الأرسطية
- 2/ اتجاه البلاغة و الأسلوبية
- 3/ اتجاه البلاغة و الحجاج
- 4/ اتجاه البلاغة و الشعرية
- 5/ اتجاه البلاغة العامة
- 6/ اتجاه الفلسفة و البلاغة
- 7/ اتجاه البلاغة و الاستعارة المعرفية
- 8/ اتجاه البلاغة و التأويل

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية.

1) البلاغة الأرسطية:

"يتأرجح مفهوم "بلاغة" في الثقافة الغربية بين معنيين مختلفين هما، بلاغة الحجاج و بلاغة الشعر، يدل الأول على الخطاب الذي يستهدف إقناع السامعين، أو تغيير الأحوال والمقامات، و يدل الثاني على الخطاب الذي يتصل من مهمة الإقناع لكي يصبح هو في حد ذاته هدفاً وغاية، أي يصبح هدفاً جمالياً"¹.

كانت الخطابة أول أمرها في الثقافة اليونانية "تلتبس بالشعر كما التبتت بالفلسفة فعمل أرسطو على التمييز بينهما بأن وضع كتاباً في الخطابة وآخر في الشعر"².

تبنى الخطابة عنده على ثلاث، "وسائل الإقناع أو البراهين، والأسلوب أو البناء اللغوي وترتيب أجزاء القول، ثم إنَّ هناك عنصر الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو ومنهم البلاغيون العرب عنصراً مستقلاً ويتضمن الحركة والصوت"³.

كما "يقتضي اختلاف الموضوعات والمخاطبين تقديم وسيلة وتأخير أخرى، فما يقدم بين أيدي القضاة في الخطابة القضائية ليس هو ما يستعمل للتأثير على جمهور الناس في الخطابة الاحتفالية"⁴.

استناداً إلى هذه القناعة تعامل أرسطو مع أنواع الخطابة الثلاثة، الاستشارية والقضائية والاحتفالية، مركزاً خلال حديثه عن عناصر بناء الخطاب، على الأطراف الثلاثة المكونة له، والمساهمة في فاعليته، وهي المرسل (الخطيب) والمتلقي (المستمع) والرسالة (النص) فالكتاب الأول من الخطابة هو كتاب المرسل، عالج فيه مفهوم البراهين بحسب تعلقها بالخطيب ومدى انسجامه مع الجمهور وذلك حسب أنواع الخطابة الثلاثة المذكورة والكتاب الثاني هو كتاب المتلقي وعالج فيه عدداً من الأهواء والانفعالات، وأما الكتاب الثالث فهو كتاب الرسالة نفسها وعالج فيه الأسلوب (lexis) أو البيان (Elocution) أي الصور

¹ - الوالي محمد، الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية، دار الأمان، الرباط، د.ت، ص 8.

² - محمد العمري في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ط2 أفريقيا الشرق 2002، ص 12.

³ - م، ن، ص 17.

⁴ - م، ن، ص 19.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

البلاغية وترتيب أجزاء القول (Taxis) و هكذا فإنّ الحجاج الجيد يقتضي المعرفة بما يهز الذات التي نتوجه إليها بالخطاب، أي ما يغيرها بل ما يحركها والخطيب الناجح عنده، هو "الذي تتوفر فيه الفضيلة والفتنة والتلطف بالسامعين (يوحي بالنص إلى من يستمعونه)، يقول أرسطو مبيناً أنواع الحجج المميزة للخطاب: إنّ أنواع الحجج المميزة للخطاب ثلاثة أنواع، الأول يقوم على الخاصيات الأخلاقية للخطيب والثاني يقوم على الأحوال النفسية للمستمعين، والثالث على خاصيات الخطاب نفسه حينما يكون برهانياً، أو يبدو كأنّه كذلك"⁵. وما ينبغي الإشارة إليه هنا، هو تركيز أرسطو بشكل ملحوظ على المتلقي حين اعتبره حكماً أولاً، ثم نظر في المرحلة الثانية إلى القضايا المحكوم فيها ونص كلامه في هذا... "أنواع الريطورية ثلاثة عدداً وكذلك يوجد السامعون للكلام، والكلام نفسه مركب من ثلاثة من القائل والمقول فيه ومن الذي إليه القول... فمن الضروري أن يكون الكلام الريطوري ثلاثة أجناس مشوري مشاجري مثبتي"⁶.

إنّ للمتلقى تأثيراً كبيراً في تغيير مسار الخطاب "فكم من خطاب يوجه لأجل الإمتاع فينتلقاه المخاطب باعتباره خطاباً مقنعاً وعلى العكس من ذلك كم من خطاب يوجه من أجل الإقناع فلا يلقي الأثر الذي ينشده الباث ولا يحقق الغرض الذي يقصد إليه وإنما ينتلقاه المخاطب بوصفه خطاباً ممتعاً.

وعلى الرغم من هذا التحديد الموسع للبلاغة فإنّ أرسطو قد حصر اهتمامه، في النهاية في الأجناس الخطابية الثلاثة، (القضائية، الاستشارية، الاحتفالية) وهي الأجناس التي اشتهرت في اليونان لدواعٍ سياسية مرتبطة بالنظام الديمقراطي الأثيني، "فالخطابة القضائية المهمة بثنائية العدل والظلم، تعيش في كنف المحاكم حيث يتبادل المحامون والقضاة المرافعة والخطابة الاستشارية والاحتفالية المهمتان بما هو خير وما هو شر، تعيش في كنف التجمع الشعبي وفي كنف مجلس الممثلين"⁷، لعل هذا الحصر للخطابة مرتبط بالتصور السياسي والتربوي الأرسطي ولعله هو الذي قاد بول ريكور إلى القول بأنّ صناعة أرسطو هي أول محاولة لاختزال البلاغة.

⁵ - الوالي محمد، الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية، ص 8.

⁶ - م، ن، ص ن.

⁷ - ينظر: م ن، ، ص 21.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

و أما المفهوم الثاني للبلاغة فهو البوبتيكا أو الشعرية ، التي تنبثق من المتن الحكائي ، أي من الحكمة التي يبتكرها الشاعر عن طريق المحاكاة و تتمثل في الملحمة و المأساة و الملهاة وللشاعر المحاكي عند ارسطو أن يسلك منهج النبلاء من الناس أو أراذلهم و على هذا الاعتبار قسم أرسطو الشعراء

إن مهمة الشاعر الحق هي أن يصور ما يمكن أن يقع و أسلوبه في ذلك قد يكون على لسان شخص آخر أو تصوير الأشخاص و هم يفعلون و هذا ما يجعل الشعرية بناء تخييليا جديدا لحقل الفعل الإنساني و هذا البناء الجديد هو ما يسميه أرسطو (mimesis) أي المحاكاتية، التي هي إعادة إنتاج للخطاب، وهذا مكن التقاطع بين المفهوم الخطابي و المفهوم الشعري حيث كلاهما اليتان للابتكار، فإذا كانت الريتوركا هي بناء للحجج فالفعل الشعري ابتكار للحكاية و للحبكة، ووفق هذا التصور فإيجاد الحجة يعادل الابتكار

2) اتجاه البلاغة و الأسلوبية :

سعت الشكلائية الروسية الى البحث عن " أشكال جديدة من الدراسات الأدبية تتخطى ما يسميه " تودوروف " النقد الدوغمائي" أو ما يسميه رينيه ويليك النقد الخارجي...فالاهتمام عند الشكلائين الروس ينصب على كيفية القول لا على ما يقال " ⁸ وذلك لأن النقد الأدبي في بداية القرن العشرين كان يهتم بالمسائل الشكلية، باعتبار النص الأدبي "ركيزة ينطلق منها النقاد لإنشاء خطاب موضوعه ماهو موجود في النص وليس النص في حد ذاته" ⁹ ولذا، كان على الشكلايين إيجاد بدائل منهجية وأدوات مفهومية تمكن من تحليل ميزات الأدب المخصصة به بشكل سليم أو لنقل، إنهم عملوا على خلق " علم مستقل موضوعه الأدب باعتباره سلسلة مخصصة من الواقع" ¹⁰ إنها وقائع لغوية قبل كل شيء، ونظرا لمنحهم الأولوية للمعطيات اللغوية وطريقة تشكلها، أطلق على أعضاء مجموعتي موسكو وسان بيترسبورغ اسم الشكلائين.

⁸ - ينظر: فكتور إيرليخ، الشكلائية الروسية، ترجمة: محمد الولي، المركز الثقافي، الدار البيضاء 2000، ص6.

⁹ - جان ميشال غوفار، تحليل الشعر، ترجمة محمد حمود، طريق المعرفة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر 2007، ص 92.

¹⁰ - فكتور إيرليخ، م، س، ص 93.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

اقترح هؤلاء، في البداية، مصطلح "نسق" كتأكيد منهم على اعتمادهم قوانين اعتبروها ذات قيمة رياضياتية، كنظام أمثل لبلوغ العلمية، وكان ذلك سنة 1917 عندما كتب شكولوفسكي مقالا بعنوان "الفن كنسق" وظهر في المجلد الثاني من مجموعة من "أجل دراسة اللغة الشعرية"¹¹، ومن هذه المنطلقات توجهت أبحاثهم نحو لغة الشعر أي اللغة الشعرية : إذا كان لا بد من دراسة اللغة الشعرية، فلامناص من دراسة بنية ما هو شعري، ولا يمر هذا دون الاهتمام بنظرية العروض. تقوم مقارنة الشكلانيين للغة الشعرية على مبدئين.

الأول، هو التشديد على الوحدة العضوية للغة الشعرية، والثاني هو مفهوم المنظمة أو المهيمنة¹².

فالشعر ليس كلاما عاديا مضافا إليه الوزن والقافية و الجناس، ولكنه نمط مختلف كيفيا عن النثر فالقصائد أشياء خلقت بوساطة أنساق خاصة هدفها تأمين صور جمالية لها¹³.

رأى الشكلانيون الروس أنه مهما يكن من أمر النسق، فإنه "لا يبعث على الرضا التام، لأنه يحول الكتابة الشعرية إلى مجرد تراكم تقنيات هدفها تأمين تصور جمالي لها"¹⁴.

لذا لجأوا إلى استعارة كلمة منظومة "système" من حقل اللسانيات لتوظيفها في أبحاثهم الأدبية مما يسمح حسبهم، " بنسج رباط وثيق بين الأنساق المتنوعة الهادفة إلى ترتيب النص الأدبي"¹⁵. فصارت " المنظومة " عندهم قاعدة تمكن من إقامة علم أدبي لا يكتفي بالصور الفوضوية، حسب فكتور إيرليخ .

وبالنظر إلى اختلاف الفاعلية الشعرية عن سائر النتاج اللغوي، توجه الشكلانيون إلى اعتبار الأثر الأدبي منظومة بنيوية، أي أنها مجموع مرتب و متناسق بانتظام للأساليب الفنية، " يقول تينيانوف علينا الإقرار بأن الأثر الأدبي يشكل منظومة و أن الأدب هو الآخر يشكل منظومة، بالاستناد إلى هذه القاعدة فقط نستطيع إقامة علم أدبي لا يكتفي بالصورة

¹¹ - فكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، ص 94.

¹² - م، ن، ص 71 .

¹³ - م، ن، ص 96.

¹⁴ - م، ن، ص ن.

¹⁵ - ينظر م، ن، ص ن.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

الفوضوية للظواهر والمتاليات المتتافرة، وإنما لدراستها¹⁶ ويذهب شكولوفسكي إلى التفريق بين اللغة العادية واللغة العلمية الشعرية " عندما يقول: يتطلب خلق شعرية علمية، التسليم، ومنذ البداية، بوجود لغة شعرية ولغة نثرية ولكل منهما قوانينها الخاصة¹⁷ وهكذا تبلورت لدى الشكلايين فكرة أن القصيدة يجب أن تشمل على عوامل تميزها عن الآثار الأدبية الأخرى، وقد دافع عن هذا الطرح كل من تينيانوف في بحث بعنوان " مسألة لغة البيت الشعري " سنة 1924 بفكرة مفادها أن " العامل المبرز يبدل شكل العوامل التابعة له وفي بحث حول الشعر الروسي الجديد، ألقاه سنة 1919 في أصد اجتماعات "opoiaz" ونشر سنة 1921 اقترح رومان جاكسون مصطلح دالة "formation"، حيث لاحظ أنه إذا كان لكل خطاب أن يتقيد بعامل خاص يؤطره ويحدد معالمه، بحيث إذا تغير هذا العامل، يتغير الشكل المقالي، فإنه على المنتجات اللغوية، وعلى اختلافها، أن تمتاز بدالة خاصة.

يرى جاكسون أن اللغة العادية " دالة تواصلية" تسمح للمتكلم بالتحدث عن العالم، حيث تستخدم كل كلمة، وقبل أي شيء آخر، للدلالة على أحد أشياء هذا العالم، في المقابل، " وبسبب كل تجليات التقطيع التي تميز النص الشعري (الوزن، القافية، تأثيرات الإيقاع)، يعتبر جاكسون الشعر نمطا مغايرا لأن القافية الفونيطيقية و السيميائية تجذب العروضات الشفهية كثيرا من الانتباه، بدرجة أكثر من تلك التي في اللغة العادية"¹⁸، يتجلى من خلال هذا التصور، أن أساس النظر في القصيدة هو التركيز على المادة البنائية اللغوية لا التحدث عن العالم، هو الشعور بالكلمة على أنها كلمة لا مجرد بديل للشيء المسمى و تلك هي الوظيفة الشعرية " إنها ليست انبثاقا للانفعال، إنها تتجلى في كون الكلمات و تركيبها ودلالاتها و شكلها الخارجي و الداخلي ليست مجرد أمارات مختلفة عن الواقع، بل لها وزنها الخاص و قيمتها الخاصة"¹⁹، وتحقق الوظيفة الشعرية، التي لا تعد الوظيفة الوحيدة للغة، ولكنها حسب جاكسون الوظيفة المهيمنة لأنها تبرز الجانب المحسوس للأدلة في "استهداف الرسالة بوصفها رسالة، والتركيز عليها لحسابها الخاص وهو ما يطبع الوظيفة الشعرية للغة"²⁰.

¹⁶ - فكتور إيرليخ، الشكلاية الروسية ص 98.

¹⁷ - م، ن، ص 99.

¹⁸ - ينظر: م، ن، ص ن.

¹⁹ - ينظر: م، ن، ص 100.

²⁰ - ينظر: جاكسون رومان، قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال المغرب، 1988، ص 35.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

إن الوظيفة الشعرية محكومة بدالة جمالية هدفها إبراز قيمة النص بحد ذاته وذلك بمنحه (النص) استقلالية نسبية عن العالم الواقعي، و ليست كاللغة العادية التي هي للتواصل.

دافع جاكسون عن مفهوم الغائي *autoréférentielle* أي أن "النص الشعري غايته في ذاته باعتبار أن الدالة التي تحكمه تحض، قبل كل شيء، على إبراز مادته البنائية اللغوية"²¹، وتجدر الإشارة ههنا إلى أن الشعرية، التي كانت الحب الأول لجماعة الأوبويان قد درست من قبلهم في إطار نظرية العروض حيث استخدمت مفاهيم الشكلانية بشكل مستمر، فالمقاربة الشكلانية للعروض تقوم إلى جانب التشديد على الوحدة العضوية للغة الشعرية على مفهوم المهيمنة، أي الخاصية المهيمنة أو المنظمة، وليس النظم هنا بمعنى الوزن و القافية و الجناس و غيرها من الزخارف اللفظية الملصقة بالكلام العادي .

" إنه نمط تام من الخطاب مختلف كيفيا عن النثر موسوم بهرمية خاصة و مميزة من العناصر والقوانين انه خطاب منتظم في نسيجه الصوتي الشامل"²²، ومع هذا فإن أكثر العناصر تأثيرا في العناصر الأخرى دلاليا و صوتيا على مستوى اللغة الشعرية هو العنصر الإيقاعي .

" إن الإيقاع، في تحديده العام، بوصفه تعاقبا مطردا في الزمن لطواهر مشابهة قد اعتبر الملمح المميز والمبدأ المنظم للغة الشعرية"²³، إلا أنه " ظاهرة ثانوية في اللغة "العملية" أو اللغة العادية، وأما في الشعر فهو خاصية أولية و مكتفية بذاتها يقول تينيانوف : الصوت في الشعر يغير معنى الكلمات في حين تغير الدلالة الصوت في النثر"²⁴.

ومن هذا المنطلق تخلص الشكلانيون من خداع العروضيين التقليديين الذين يساوون بين الوزن والإيقاع، وانتهوا (الشكلانيون) إلى أن البيت الشعري يمكنه أن يستغنى عن الوزن لكنه لا يستطيع الاستغناء عن الإيقاع. ويلحون على أن هذا الأخير خاصية صورية مشكلة و مخترقة لكل مستويات لغة البيت الشعري. مما حدا بهم إلى أن الانزياحات عن القاعدة

²¹ - جاكسون رومان، قضايا الشعرية، ص98.

²² - ينظر: م، ن، ص99.

²³ - م، ن ص ن.

²⁴ - م، ن، ص ن.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

أول المعيار والموجودة في الأشعار الأكثر طردا، هي ليست عاملا يمكن الاستغناء عنه وإنما هي عامل للتأثير الاستطقي²⁵.

الشعرية و الأدبية : يفرق جاكبسون بين الشعر والشعرية، أما الأول كفنون النثر، فهو تشكيل فني للكلمات في سياقاتها التعبيرية، وأما الشعرية فتعنى الأدبية وموضوعها الأدب، وهكذا فهو يرى أنه لا حدود فاصلة تخص الشعر وحده ويمكن تبيانها لتمييزه عن غيره من فنون القول، فلا الأدوات الشعرية ولا الجناسات ولا الأدوات التناغمية تستطيع أن تحدد الشعر، فهذه نفسها أدوات تستعملها الخطابة و الكلام اليومي، كما يرى أن وظائف اللغة تتشكل في ثلاثة أجزاء تتوافر في عملية اتصال لغوي هي المرسل، المرسل إليه و الرسالة .

فالإبداع الشعري هو نتاج صراع بين الجانب الجمعي والجانب الفردي في الشاعر، بين الوظيفة الشعرية وسائر الوظائف، و مهما كان من طغيان الوظيفة الشعرية على الوظائف الأخرى فإنه ليس بالإمكان إقصاؤها كلياً، فيصير بذلك النص الشعري قائماً على العلاقات المتوفرة بين الوظائف المختلفة فيه يقول جاكبسون: لا يمكن للتحليل اللساني للشعر أن يقتصر على الوظيفة الشعرية فخصوصيات الأجناس المختلفة تستلزم مساهمة الوظائف الأخرى بجانب الوظيفة الشعرية المهيمنة وذلك في نظام هرمي متنوع²⁶ وفي هذا القول بيان أن الشعرية متصلة بجذرها اللساني، الذي بلورت وأسس لها بوصفها بنية نصية بإمكانها تحقيق المعاني و الانزياحات الدلالية .

اكتسبت الشعرية قيمتها في القراءات الأدبية من الدراسات اللسانية خاصة التحليل البنيوي والتحليل الأسلوبي، وعليه، فالشعر عند جاكبسون لغة ذات وظيفة جمالية أما الشعرية فهي الأدبية و موضوعها علم الأدب الذي يعنى بآليات الصياغة والتركيب وبكل ما يجعل من كلام ما عملاً أدبياً، ومن منطلق أن الشعر تشكيل فني للكلمة في سياقاتها التعبيرية فإن الشعرية هي الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق رسالة لفظية أو خطاب شعري، تلك الوظيفة التي تنظم العمل الشعري وتحكمه دون أن تثير انتباهنا

ولم يكن جاكبسون منشغلاً عن العناصر المحيطة بالخطاب، وهو يهتم بالشعرية التي قادته إلى حقل اللسانيات، فهو عند طرحه فكرة الهيمنة، إنما يطرحها بشكل اقتراضي

²⁵ - جاكبسون رومان، قضايا الشعرية، ص 100.

²⁶ - م، ن، ص 72.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

أولي يشكل للباحث منطلقا لتوضيح فكرة طغيان وظيفة على الوظائف الأخرى، مما يجعلنا نحكم على رسالة ما بأنها شعر و يحكم على أخرى بأنها دراسة وتوضيح للسان الذي يشكل سنن الخطاب و الحكم على غير ما ذكر بأنه كلام ذاتي أو تنبيه للمستمع... إن جاكسون، استنادا إلى هذا الطرح، أراد علمه اللسانيات طالما أنها " العلم الذي يشمل كل الأنساق و البنيات اللفظية، ولكي يستوعب مختلف البنيات كان لزاما عليها ألا تختزل في الجملة أو أن تكون مرادفة للنحو فهي لسانيات الخطاب أو لسانيات فعل القول "27.

بحيث لا يمكن لدارس الفن اللفظي إهمال خاصية التواصلية، فكل سلوك لفظي لا بد له من مالك وكل رسالة لا بد لها من وظيفة وتبقى العلاقة قائمة بين هذه السلوكات اللفظية لأنه لا بد من الصعب إيجاد رسائل تؤدي وظيفة واحدة ليس غير "28.

ينطلق جاكسون في نظريته للتواصل من النموذجين التقليديين، لكل من سوسير وبوهلير والذي هو على شكل مثلث رؤوسه الثلاثة هي: ضمير المتكلم، أي المرسل وضمير المخاطب، أي المرسل إليه، وضمير الغائب .

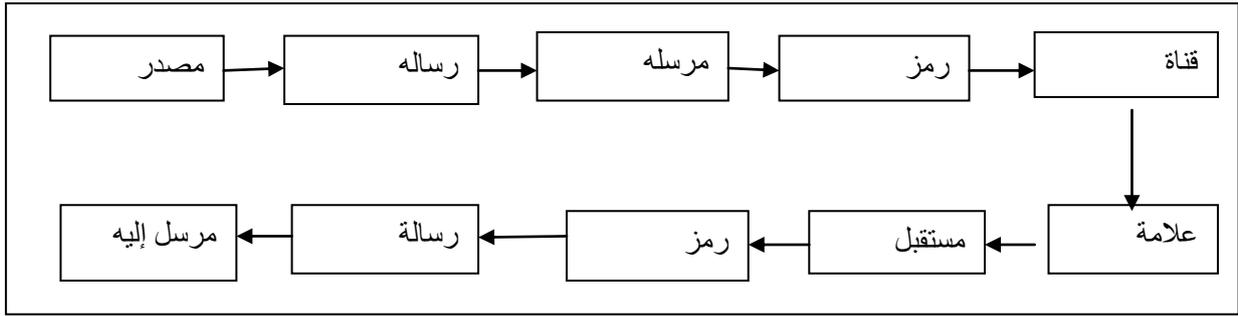
أضاف جاكسون عوامل أخرى، كانت إضافية في نموذج بوهلر، واعتبرها ذات أهمية في عملية التخاطب بكل مستوياتها لتصير ستة وهي المرسل والرسالة، والمرسل إليه والسنن والمرجع والقناة. " مستفيدا في هذا التصور من تجربتيه في جامعتي كولومبيا و هارفرد، حين أقام صلات مع المشتغلين بالرياضيات و الهندسة، والذين كانوا يبحثون في مسألة التواصل التي تشكل نقطة مركزية في نقل المعلوماتية "29، حيث يلاحظ بشكل عام وجود مصدر (source) ينتج رسالة (message) يتم نقلها بواسطة مرسله جهاز إرسال (transmetteur) الذي يقوم بترميز (code) الرسالة و ترجمتها إلى علامات (signons) ونقلها عبر قناة (canal) يتلقى مستقبل (récepteur) هذه العلامات ويفك (décode) رموزها بهدف الوصول إلى الرسالة الأصلية التي تصل إلى المرسل إليه و يمكن التعبير عن هذا بالخطاطة التالية :

27- جاكسون رومان، قضايا الشعرية، ص72.

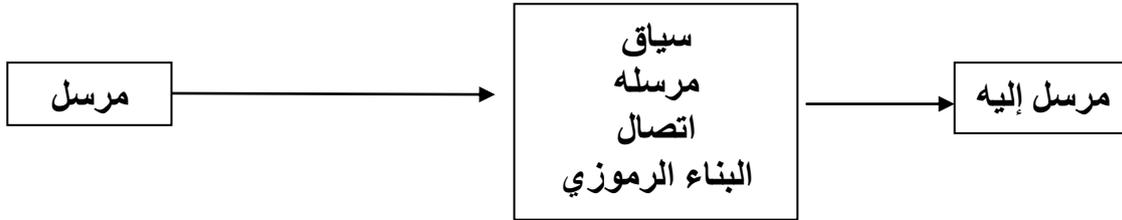
28- م، ن، ص 72.

29- م، ن، ص 73 .

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية



وضع جاكسون هذا الشكل ليقترح ترسيمة للتواصل اللغوي، حين بداله أن العوامل المكونة لكل عملية تواصل لغوي هي مرسل نقل رسالة إلى مرسل إليه تخيل هذه المرسله إلى سياق ، ويتم تظهيرها وفق رمز لغوي عام نفترض اتصالا ، (contact) بمعنى التواصل المادي ، ونفسي في آن ، و الذي يمكن ترسيمه وفق المخطط التالي "



يلح جاكسون على أن لكل من هذه العوامل دورا في توجيه الخطاب، من حيث التركيز على هذا العامل أو ذاك، فإن تركيز الخطاب على المرسل وعبر عن عواطفه تولدت الوظيفة الانفعالية وتتجلى أسلوبيا بحروف معينة معبرة عن الحالة من قبيل (أخشى، أمل) وإذا تركز الكلام على المرسل إليه فهو يدوم التأثير على المخاطب ووظيفته حينذاك (conative)، وتتجلى صورته في الأمر النهي.....الخ، وأما اذا تركز الخطاب حول السياق فهو يهدف الى الكلام عن العالم وبالتالي فالوظيفة ههنا هي، معرفية، تثقيفية أو مرجعية (cognitive ,referentielle) .

تكمّن أهمية مساهمة جاكسون في أنه " تمكن من إضافة ثلاث وظائف جديدة الى الوظائف السابقة، فهو يمنح "الإيصال، الاتصال" وظيفة تنبيهية تفاهمية و التي تتجلى في تعابير مثل، ألو، أتفهمني،....و التي تهدف إلى إقامة تبادل أو قطعة، أو المحافظة عليه ويعطي البناء الرموزي (code) وظيفة ما وراء لغوية métalinguistique، التي توازي جميع الحالات التي تستخدم فيها اللغة للكلام على اللغة كأن نقول (إن كلمة مفرد تنتهي بالحرف

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

د في المفرد)³⁰، و أخيرا يعطي المرسله وظيفة شعرية، باعتبار أن كل خطاب يهتم بالمادة البنائية اللغوية بحد ذاتها هو شعري بالضرورة، وهكذا يطابق للعوامل الستة الأساسية في عملية التواصل وظائف ست³¹

من هنا اكتسبت الوظيفة الشعرية، أساسيا " و أكثر رسوخا، بفعل انتظامها في نظرية عامة للتواصل " بل إنها تحتل موقعا مركزيا بحكم كونها وثيقة الصلة بالمرسله و هي بالتالي على علاقة مع جميع العوامل الأخرى في عملية التبادل اللغوي³².

إنها الوظيفة التي يسميها جاكوبسون الغالبة في قضايا الشعرية حين يؤكد أنه لا يمكن اختزال الأثر الشعري في الوظيفة الجمالية فإذا كان الأثر الشعري مرسله لغوية الوظيفية الجمالية هي الغالبة فيها فإن هذا لا يعني سائر الوظائف المكونة لفعل التواصل قد ألغيت كل ما في الأمر أن الوظيفة الشعرية قد غلبتها يمكن تحديد الغالبة بأنها الصفر المركزي في الأثر الفني.

تصور جاكوبسون للاستعارة:

يتأسس تصور جاكوبسون للاستعارة على مبدئين مركزيين في اللسانيات البنيوية هما المحور الاستبدالي والمحور التأليفي، لأنهما يفسران القدرة اللغوية عند المتكلم في بعدها الحقيقي والمجازي.

المحور التأليفي (syntagmatique): والمقصود به أن عملية إنتاج اللغة يقوم على مجموعة من العلاقات التأليفية تعقد بين وحدات لغوية تنتمي إلى مستوى واحد وتكون متقاربة ضمن ملفوظ معين أو عبارة ما أو مفردة لتصير محكومةً بعلاقات نظامية ذات منحنى زمني خطي يقبله النظام التجريدي للغة المتكلم بها³³.

المحور الاستبدالي (paradigmatique): يمكن لوحدة لغوية من الوحدات التأليفية أن تقوم مقام أخرى في جملة ما إذ يمكن لكلمة التين أو كلمة العنب أن تعوض البرتقال في جملة

³⁰ - جاكوبسون رومان، قضايا الشعرية، ص73.

³¹ - م، ن، ص81.

³² - م، ن، ص ن.

³³ - ينظر: عبد العزيز الحوينق، الاستعارة عند رومان جاكوبسون، مقال في مجلة علامات، ج54، مجلد 14، ديسمبر

2004. ص 226.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

أكل الولد البرتقال دون أن يحدث خلل في المعنى، لعدم وجود خرق القيد الانتقائي (+) (قابلة للأكل) المنسجم مع مقتضيات الفعل "أكل" وبناءً على ما ذكر فالقول يخضع لعمليتين هما:

أ- الانتقاء: ومعناه إمكانية قيام المتكلم باختيار الكلمة التي يراها مناسبة تبعاً لمقصدية وغايته التواصلية في ظل اشتراك كل كلمة مع كلمات أخرى في سمات دلالية معينة.
ب- التنسيق: أي قيام المتكلم بعملية ترتيب الكلمات وفق قواعد اللغة التجريدية التي ينتمي إليها.

إنّ "الصور البلاغية عند جاكوبسون وخاصةً الاستعارة والمجاز المرسل يفسران اعتماداً على هذين المبدأين اللسانيين، بحيث إنّ المجاز المرسل أصبح لا يفهم إلاّ في إطار المحور التأليفي، بينما الاستعارة لا تفهم إلاّ في ضوء المحور الاستبدالي"³⁴.
الاستعارة والمجاز المرسل: يرى رومان جاكوبسون أنّ الاستعارة "بما أنّها نتاج عملية استبدال وحدة دلالية بأخرى تشترك معها في سمات دلالية، وتختلف معها في سمات أخرى ترتبط بالمحور الاستبدالي بينما المجاز المرسل ذو البعد الزمني تأتي من مقدرة المتكلم على التأليف بين الكلمات ضمن قواعد نحو اللغة التي يستعملها"³⁵.

3) اتجاه البلاغة و الحجاج (بيرلمان و تيتيكاه):

تكتشف الجهود التي قامت بها المدرسة البلجيكية في إعادة قراءة الموروث البلاغي الأرسطي عن توظيف ما توصلت إليها العلوم الانسانية بشكل عام و اللسانيات المعاصرة بشكل خاص .

فاهتمت هذه المدرسة " بتخليص الدرس البلاغي مما لحق به من تشوية يعود أساسا إلى التبسيطات المخلة التي مورست على البلاغة في الفترات القديمة"³⁶، كما عملت على لفت

³⁴ - عبد العزيز الحويذق، الاستعارة عند رومان جاكوبسون، ص 227.

³⁵ - م، ن، ص ن.

³⁶ - محمد سالم أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008، ص 102.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

انتباه الباحثين الى أهمية اللغة في بناء الفرد و المجتمع و الحياة ككل، فعرفوا الإنسان "بأن حيوان بلاغي". في إشارة الى الأبعاد الاجتماعية الجديدة للبلاغة.

وقد أشار برلمان في كتابه "مصنف في الحجاج" باب "البلاغة الجديدة" الى هذا التوجه الساعي إلى جعل البلاغة علما مستقبليا، الغاية منه تطوير المجتمع "وتحليل مختلف الخطابات عن طريق الوقوف على خططها الحجاجية المتأسسة عليها وهي أهداف تحقق أيضا التوجه الى افاق القراء وحججهم من جهة و التخلي على النزعة المعيارية من جهة ثانية" ³⁷

الخط الحجاجية للخطاب: لا ينحصر الحجاج في استعمالات خطابية ظرفية إنما هو الحياة اليومية للناس وقيمهم، بل هو الفكر والتفكير من أبسط درجاته الى أكثرها تعقيدا أو تجريدا "والسبب في ذلك أن كل خطاب حال في اللغة تمنحه هذه الأخيرة العناصر الأولية و القاعدية لكل حجاج" ³⁸

الحجاج عند بيرلمان: يعتبر بيرلمان الحجاج من صميم البلاغة الجديدة ضمن التوجه الحجاجي المنطقي للبلاغة الجديدة، يقول بيرلمان: "موضوع نظرية الحجاج هو دراسة التقنيات الخطابية الهادفة الى حث النفوس على التسليم بالأطروحات المعروضة عليها أو تقوية ذلك التسليم، كما تفحص أيضا الشروط التي تسمح بالانطلاق الحجاج و نموه وكذا الاثار المترتبة عنه" ³⁹

ما يميز نظرية الحجاج عند برلمان أنها: " ذات خصائص إنسانية عميقة ويؤكد ذلك كونها قد أجريت داخل قسم الفلسفة و علم الاجتماع بجامعة بروكسل" ⁴⁰.

عالج برلمان قضية الحجاج من حيث، قضاياها، أطرها الحافة، روافده، أنواعه وتجلياته بحسب مقامات التوظيف وسياقاته، إلى جانب اهتمامه ببلاغة الحجاج في مجال الإعلام وحتى في الخطابات التي يكون فيها المرسل غائبا، فقد أثبتت الدراسات، إمكانية قيام الكاتب "

³⁷ - محمد سالم أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 102

³⁸ - م ن، ص ن.

³⁹ - Le champ de l'argumentation p 134

⁴⁰ - محمد سالم أمين الطلبة، م، س، ص ن.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

بتشكيل عناصر و وحدات فنية، انطلاقاً من وعيه بأفاق المقصودين بالخطاب وذلك لكي تقوم هذه العناصر في الرسالة المكتوبة مقام الحضور العياني للمتكلم⁴¹.

إن ما جعل نظرية بيرلمان في الحجاج أعمق وأشهر في المجال الحجاجي المعاصر اعتماده في مساره المنهجي على عدة روافد، نجملها في الآتي

التراث المنطقي وأساليب الحجاج القضائي مشغولاً بالعناية باللغة. التواصلية وهذا ما أوصله الى مطالعته بين الحجاج و البلاغة اعتباره البلاغة الجديدة تتأسس على تعاضد فكرتين الأولى ظاهراتية وعمادها مقولة هيدغر حيث اعتبر اللغة هي الوجود بكل أبعاده والثانية تأويلية قوامها الانطلاق " من اللغة المرسلة في معين ثم تفكيكها و الغوص فيها للوصول الى مكوناتها الأساسية وعلاقتها بالمتكلمين والمخاطبين " ⁴²

لقد تقصى برلمان هذه المسارات و الإشكالات بدقة و أناة من أجل نظرية البلاغة الجديدة التي يرى عملية بناءها مسألة معقدة لارتباطها الوثيق بعدة مجالات معرفية وإنسانية من جهة وأن " معيار الحجاج الناجح لا ينبغي أن يؤخذ من النخبة، أي أن الأمر يتطلب تحليلاً فلسفياً للخطاب الحجاجي لأنه ذو طابع عقلي بالأساس، ولأنه يتوجه الى مخاطبين تختلف دوافعهم الى الفعل والتفكير⁴³ من جهة ثانية

يتبين من خلال الطرح السابق سعي برلمان إلى دراسة وسائل التأثير في المخاطبين بمختلف مستوياتهم، بمعزل على المغالطات و التحريض، وذلك من خلال دراسته للبلاغة الأرسطية، ومحاولاته الإجابة عن سؤال مفاده إمكانية وجود منطق خاص بالقيم فتوصل الى نتائج لم تكن في الحسبان، يمكن التعبير عنها اجمالاً بتحرير الحجاج من سمات المغالطة و الإقناع القسري وجعله حواراً علمياً بعيداً عن العنف

ملامح الحجاج عند بيرلمان: تميز الحجاج عند بيرلمان خمسة ملامح رئيسية هي:

- 1- أن يتوجه الى مستمع
- 2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية
- 3- مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية

⁴¹ - محمد سالم أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 104.

⁴² - م، ن، ص 105.

⁴³ - م، ن، ص ن.

4- ألا يفنقر تقدمه (تناميّه) الى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة

5- أن تكون نتائجها غير ملزمة (احتمالية، غير احتمالية)⁴⁴

أقام برلمان الأطر الحجاجية متمثلة في العلاقات الثنائية بين الحجاج و الاستدلال الحجاج والخطابة، الحجاج والجدل، سعيًا لإقامة الدليل، للوصول إلى " حصول الإقناع بالتحرك من أجل انجاز الفعل المقصود أصلا من قبل الخطيب"⁴⁵.

كما ينقسم الحجاج، تبعًا لجمهور المتلقين، إلى الحجاج L'argumentation والحجاج الإقناعي persuasivel'argumentation

الأول يخاطب عواطف الجمهور الخاص لإقناعهم Convaincante

وهذا ما يطبق من هامش فرصة العقل وحرية الاختيار. والثاني (الإقناع) يقوم على الحرية والعقلية بهذا المقياس يكون الحجاج غير الملزم هو الكفيل بتحقيق الحركة الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل.

وقد جمع برلمان في نظريته بين الخطابة و الجدل الأرسطيين، لأن الحجاج عنده لا يكون إلا في الأمور المثيرة للشك، والتي تستدعي جهدًا فكريًا وعقليًا لكشف لبسها .

إن الفكرة التي تطرح للنقاش ذات تصور فلسفي مفرغ من الشحنة الميتافيزيقية وهي في الان ذاته تحمل أبعادًا تجريدية وأخرى عقلية وأخرى حسية .

وتتفاعل هذه الأبعاد مجتمعة بالإضافة إلى مستوى الخطيب وإمكانات المقام كي تدفع المخاطبين إلى العمل والإنجاز كما يلعب الخطاب البرهاني دورًا كبيرًا في تنظيم الحجاج بالأساليب الأدبية .

يرى برلمان أنه، وعلى الرغم من قرب الخطابة من الحجاج، إلا أنه يختلف عنها من جهتين:

نوع الجمهور، ونوع الخطاب

فجمهور الخطابة حاضر أمام الخطيب في مكان محدد، في حين أن جمهور الحجاج يمكن أن يكون غائبًا كما إمكانية كونه حاضرًا. كما يلاحظ في نظرية الحجاج تركيزها على المكتوب

⁴⁴ - علامات، مجلة ثقافية محكمة، المغرب، مدينة مكناس، ع7، ديسمبر 1996، ص 77

⁴⁵ - م، ن، ص108.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

وعلى اليات البرهنة فيه، لأن يتيح للعقل امكانية التحليل والتأويل، على العكس من الخطابة التي تكون شفوية .

- وما يميز نظرية بيرلمان الحجاجية أيضا، أنها تنظم أنواع البراهين والحجج بحسب المقامات والمخاطبين .

ومن هنا فهي تعمل على " تعميق فكرة المسمعين الواردة في البلاغة الكلاسيكية من خلال تركيزها على غيابهم المادي، وتعمل على ثمنية عناصر الخطاب الحجاجية بعيدا عن وسائل الضغط و التحريض... وعلى استثمار كل ما من شأنه أن يمنح الخطاب تفانيه المطلوبة من تقنيات ومكونات معرفية واجتماعية ونفسية وسياقية تساعد متضافرة في تحقيق الخطاب " .⁴⁶

* **بناء الحجاج عند بيرلمان:** يحتاج المحاجج، حسب برلمان، جملة من التصورات والمقدمات و الفرضيات لينسج منها خطفه البرهانية قصد استمالة المعنيين بالخطاب.

فمقدمات الحجاج هي ما يؤسس نقاط انطلاق الحجاج ومن أبرز هذه المقدمات **الوقائع** les fouets تؤسس نقطة البداية لأنها ثابتة و تمثل ما هو مشترك بين جميع الناس .

الحقائق réalités وتقوم على فكرة الربط بين الوقائع للوصول اليها، وتتأسس عادة على مفاهيم فلسفية، دينية، وعلمية .

الافتراضات présomptions، تعتبر قاعدة لأنها تؤطر الحجاج وتدعم الفكرة لأنها " من المسمعين لكنها يجب أن تشفع هي الأخرى بأدلة و أنساق برهانية .
القيم les valeurs. وتعتبر قواعد حجاجية لأنها تعمل على بناء الثقة بين المتحاورين.

هرمية القيم hiérarchies des valeurs والمقصود بها نسبيتها وتفاوت درجاتها بين الزمان والمكان والشخصيات والمقام بشكل عام المواضيع وهي من أشمل القواعد باعتبارها مخازن للحجج في البلاغة القديمة تنقسم المواضيع الى المشترك و الخاص .

⁴⁶ - محمد سالم أمين الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص111.

الأول: لمفهومي "الأول والأكثر" الذين يصح تطبيقها على عديد العلوم والأغراض القولية .

والثاني: ما كان حكرا على جنس أو علم يعتبر وتكون دلالاته حكرا عليه دون سواه كما تنقسم الى مواضع الكم و مواضع الكيف lieux de qualité et lieux de quantité غير أن هذه " المقدمات التي يؤسس عليها الحجاج ليست ذات فاعلية في ذاتها، ولا هي بمعزل عن كفاءة الخطيب ووعيه اللذين بهما تكتسب عناصر الحجاج شحنتها الحجاجية " ⁴⁷ . مما يضمن الحجاج الوعي المسبق للمحاجج لما لدى متلقى خطابه من تصورات تصورات قد تتأسس عليها ردود أفعالهم السلبية المعارضة لمقدماته و" بهذا الوعي المسبق، يسبقهم و يفاجئهم بطرح هذه الأفكار في سياق جديدة بحكمة بكفاءة " ⁴⁸ .

أضف الى ذلك ما للسياق القولي والأسلوب البلاغي من الأثر الايجابي على قوة مقدمات الحجاج و نفاذها فالبنى الأسلوبية - كما يقول بيرلمان- " لا يمكن أبدا فصلها عن أهدافها الحجاجية " ⁴⁹ .

(4) اتجاه البلاغة و الشعرية:(كوهن)

ما الذي يجعل الخطاب الأدبي ذا وظيفة جمالية تأثيرية إلى جانب وظيفة الإبلاغ؟ رأينا سابقا أن الخطاب الأدبي حسب جاكسون، خطاب لغوي تواصلية تهمين فيه الوظيفة الشعرية دون أن تغيب الوظيفة التواصلية، وهذه المهيمنة لا يعني إهمال باقي الوظائف أثناء الدرس والتحليل " فهيمنة الوظيفة الشعرية على الوظيفة المرجعية لا تطمس الإحالة وإنما تجعلها غامضة" ⁵⁰ و هذا الغموض ينجم عن مفارقة الدوال لمدلولاتها، من التفاعل العضوي لعناصر اللغة، والذي بموجبه تتزاح الألفاظ عن الدلالة الوضعية الأولى وتتعداها إلى الدلالة الإحائية أو الدلالة الحافة، لأن القول المألوف لا يثير في المتلقي أي إحساس لكونه يجري مجرى العادة، أما الانزياح عن المعتاد، فهو ما يثير المتلقي، فعملية اختيار الألفاظ لتعبير

⁴⁷ - محمد سالم أمين الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص112.

⁴⁸ - م، ن، ص114.

⁴⁹ - م، ن، ص ن.

⁵⁰ - جاكسون رومان، قضايا الشعرية، ص51.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

عن موقف تستوجب مخالفة ما اعتاد عليه الناس، والانزياح عنه حتى يحدث الصدمة المطلوبة التي أشار إليها جاكسون والتي تقود إلى الأثر المنشود

إن تيار الشعرية البنيوية، كما يرى بعض الباحثين العرب، ومنهم صلاح فضل ومحمد العمري هو الذي عمق في مفهوم الانزياح، وقد أقر هؤلاء أن أكمل صياغة لسانية لنظرية الانزياح هي تلك التي صاغها "جون كوهن" في كتابه "بنية اللغة الشعرية" الكتاب الذي حرص صاحبه على جعله ضمن التيار الشعري، الذي يحاول تجديد البلاغة

سعى جون كوهين إلى تأسيس علم للشعرية محددًا هدفه من تحليل لنصوص الشعرية في البحث عن البنى المشتركة بين الصور على اختلافها بين القافية والاستعارة، والتقديم والتأخير فكل من هذه الملامح تعمل، حسب، "على خرق قانون اللغة لكنها جميعها تحقق الأثر الجمالي نفسه" ⁵¹

وخرق قانون اللغة هو ما يسمى بالانزياح، تقوم نظرية الانزياح عند كوهين على ثنائيات تمثل استراتيجية الشعرية البنيوية، وهذه الثنائيات هي المحور الذي تدور عليه الصورة في كتابه، بنية اللغة الشعرية ومن أبرز هذه الثنائيات (الدلالة التصريحية الدلالة الحافة) (dénotation connotation) وثنائية (l'écart la norme) (المعيار/الانزياح)

ينطلق كوهن في تحديده للمعيار من لغة الاستعمال العادية، اللغة المتمثلة في النثر لأن لغة النثر لغة طبيعية، وأما لغة الشعر، فهي لغة فنية مصبوغة يندرج ضمن النثر أشكال تعبيرية عديدة، كالنثر الروائي، الصحفي، العلمي، وتعتبر اللغة من الزاوية الوظيفية، وسيلة تواصل من حيث أقرب الطرق وأقل جهد، وأما الشعر، حسب كوهن فيعمل على عرقلة هذه الوظيفة بمختلف الطرق، هذا الخرق في اللغة هو أولى ملامح الانزياح تلي هذه المرحلة مرحلة ثانية هي مرحلة تقليصية، وهي مرحلة تعيد الصورة إلى حضرة اللغة "

52

⁵¹ -جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986.. ص48.

⁵² - محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، ط1، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، 1990، ص36.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

يلح كوهين على الوظيفة التوصيلية للخطاب الشعري، يقول: "إن الشعر، شأنه شأن النثر خطاب يوجهه المؤلف إلى القارئ، فلا يمكن الحديث عن الخطاب إذا لم يكن هناك تواصل، ولكي يكون الشعر شعرا، ينبغي أن يكون مفهوما من طرف ذلك الذي يُوجّه إليه"⁵³.

كما يؤكد على أن الغاية التي يهدف إليها الانزياح هي تشكيل الصورة الشعرية التي بموجبها يتغير المعنى، ولكي تحقق القصيدة شعريتها ينبغي أن تكون دلالتها مفقودة أولا ثم يتم العثور عليها وذلك كله في ذهن القارئ"⁵⁴

إن الشعرية في نظر كوهين عملية ذات وجهين متعاكسين ومتزامنين، هما الانزياح ونفيه تكسير البنية وإعادة البناء، إن ما يمنح الخطاب الأدبي خصوصية الشعرية هي عملية التآرجح بين الذهاب والإياب من الدلالة إلى فقدان الدلالة، ومن فقدان الدلالة إلى الدلالة إذن، موضوع الشعرية هو الانزياح الذي يتحقق بلغة تتجاوز المعطى المتواضع عليه يقول جيرار جينيت: "التجاوز في الأعمال الأدبية هو موضوع الشعرية"⁵⁵

فوظيفة الشاعر هي أن يختار ما يناسب المقام الذي يريد أن ينشئ فيه رسالته، ثم يؤلف ذلك وفق نظام تركيبى، مخصوص يحقق له أسلوبه الخاص، دون تقيد لمعايير اللغة وقوانينها، إنه يعمد إلى خرقها، "ففي الوقت الذي تسعى فيه اللغة إلى ضمان سلامة الرسالة بواسطة الاختلاف الفونيمي، يجتهد الشاعر في إشاعة التجانس الصوتي وتقويته فيعمل بذلك على عرقلة هذا الاختلاف في اللغة، فيحدث انزياحا على المستوى الصوتي، إن المنثور والكلام العادي، لا يؤدي وظيفته إلا عبر الاختلافات الفونيمية، ولاتقل صعوبات التشابه والقافية والجناس في الخطاب النثري فهذه الأشكال تمثل عائقا يجتهد الكاتب في تلافيه بصورة طبيعية أما الخطاب الشعري فهو على النقيض من ذلك يبحث عنها"⁵⁶ وهذه العملية هي التي تحقق الانزياح في اللغة الشعرية عن اللغة العادية في الجانب الصوتي.

⁵³ - جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ص. 173.

⁵⁴ - م، ن، ص 173.

⁵⁵ - Gérardjennette ,figuresIII. éditions de seuil paris. 1972 p.11

⁵⁶ - جون كوهين، م، ن، ص 83.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

فاللغة العادية، تتحاشى إشاعة التماثل الصوتي، وضم الألفاظ المشتركة والمترادفة والجمع بين الألفاظ المتجانسة في لغة واحدة، بينما تستعملها اللغة الشعرية استعمالاً واسعاً، وهي لا تدل على مجرد لعب لغوي أو إضافة عناصر ثانوية بقدر ما تنتج تأثيراً دلالياً، يعلق بموجبه المعنى على الصوت، يفرز علامات مثيرة، ومتوازيات صوتية وتشاكلات دلالية تفسر علاقة الدوال بالمدلولات وشبكتها في القول الشعري فالشعر وهو يفعل ذلك "يركب أجزاء فوق أجزاء ونظاماً على نظام"⁵⁷.

وأما التشكيل الصوتي، فهو تفاعل ونشاط بين المعاني، ويشكل التركيب الصوتي عنصراً أساسياً في الخطاب الشعري لأنه أحد العناصر المكونة للإيقاع في بنية النص، كما أنه يسهم في تشكيل الرؤية الشعرية وأبعادها الفنية والجمالية حينما يتفاعل مع العناصر الأخرى "وللموسيقى كذلك دور هام في بنية الخطاب، ولها علاقة مباشرة بما يتولد عنها من دلالات، كما يشكل أيضاً، الوزن والقافية والجرس اللفظي والجناس والتكرار والصيغ الصرفية مصادرة الإيقاع الموسيقي، وجميع هذه العناصر تسهم في عملية لتعبير عن التجربة الشعرية وتصويرها في نظام فني متنسق"⁵⁸.

انطلق كوهن في تحليله مما يلاحظ في الكلام العادي، فرأى أنه إذا كان من غير الممكن أن نستغني عندهما من التكرار الصوتي في الكلام العادي، فإنه من قواعده العرفية ما لا يجيز مظاهر التماثل البالغ إلى حدّ أنه لا يجيز الترادف إذا تعلق الأمر بمدلول واحد وهذا الأمر على النقيض من ذلك في الشعر، في نظره، إذ إن التماثل الصوتي هو القاعدة فيه وهو الظاهرة الوحيدة التي تجعل لعملية النظم معنى، وقد حلّ ضروب التماثل التي تحدث بين العناصر المتجاوزة في الخطاب فقسمها إلى ثلاثة:

- تماثل على صعيد الدال

- تماثل على صعيد العلامة

⁵⁷ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، لمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1992 ص 136.

⁵⁸ - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج2، دار هوما للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 1997، ص 138.

- تماثل على صعيد المدلول⁵⁹.

يحقق الانزياح على المستوى الدلالي تحويلا دلاليا، لأن الخطاب الأدبي تقلص استخدام اللغة من حيث هي مكونات دلالية ونظام كيميائي بالدرجة الأولى ويتوجه نحو استخدامها بوصفها مكونات تشكيلية ونظام تشكيلي إلى حد بعيد، وهو ما يحول الخطاب الأدبي من نظام لغوي يحيل من داخله إلى إطار مرجعي يقع خارجه إلى نظام لغوي تشكيلي لا يحيل إلى إطار مرجعي يقع خارجه بل يكون شبكة من العلاقات الدخيلة المعقدة، و تتبعث الدلالة مما كون في فضائية من علاقات، إن الخطاب الأدبي " لا يدمر اللغة العادية إلا لكي يعيد بناءها على مستوى أعلى فبعد عملية فك البنية التي يقوم بها الشكل البلاغي تحدث عملية اعادة بنية اخرى في نظام جديد⁶⁰.

والخطاب الشعري في نظر كوهن : " يموت على صعيد الدلالة التصريحية لينبعث على صعيد الدلالة الحافة"⁶¹ لأن القدام الفائدة والخروج عن المنطق وكل ما يشكل غموضا يحصل بالنظر إلى الكلام من زاوية الدلالة التصريحية باعتبارها دلالة تعيق الشيء كما هو، تحيل العالم إلى نسق من المفاهيم أي أنها توضع لتضمن المعرفة، أما الدلالة الحافة مهني التي تحيل على المعنى العاطفي، فتذوق العالم، وترسم الأثر الذي تتركه فينا الأشياء وهي بذلك تعمل في اتجاه معاكس للدلالة التصريحية.

الهدف الوحيد للشعرية، حسب كوهن، هو استبدال المعنى وتحويله والشاعر بذلك يؤثر في الرسالة من أجل تغيير اللغة، "وهدف ككل شاعر يكن تحقيق تحول اللغة الذي هو في الآن نفسه تحول ذهني"⁶²

وبذلك يخلق الشاعر لغة رمزية متحولة توازي تحوله الذهني فهو ينظر إلى الكلمات مما هي رموز لمدلولات لا تقع تحت طائلة الجبرية، إذ يقوم خلخلت العلاقة بين الدوال والمدلولات

⁵⁹- محمد الهادي الأطرابلسي، النص وقضاياها جون كوهن، مجلة فصول، ع 1 م 5 الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة

1984، ص 126

⁶⁰- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 58.

⁶¹- جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ص 196.

⁶²- صلاح فضل، م، س، ص 110

لأن الطبيعة الشعرية للخطاب الشعري تستلزم لغات ذات كثافة خاصة، لغة متحررة من الربط التعسفي بين وحدتها.

إنّ الاستعمال الشعري للكلمات هو تكثير لمعانيها، وذلك بوضعها في حقول دلالية جديدة تنطوي عليها العبارات، أي أنه تحويل وإغناء لما وضعت له الكلمات في الأصل وخروج عن الحدود الدلالية إلى رسمتها لها المعاجم ونحن نشعر بشعرية الخطاب "عندما تحسن بالكلمة ككلمة لا بديلا "شيء أو تفجير الانفعال عندما لا تقصر الكلمات تراكيبها ودلالاتها كونها علامات مطالعة للحقيقة بل تكتسب وزنها الخاص وقيمتها الخاصة"⁶³

تتعرض خصوصية الأداء الشعري في نقل الدوال أو الكلمات من حدود دلالاتها المعجمية إلى اعتبارها دوالا في حقول معجمية أخرى، فتحول الكلمات من خلال هذه العملية إلى كائنات رمزية تشكلها سياقات خاصة، إذ تتحرر من قيود التصورات الذهنية والدلالات المتوازنة السياقات التي تعاقبت عليها حتى قيدت حركتها، فتحول إلى إشارة أو "علامات" فمصطلح إشارة يتسع ليشمل كل عنصر من عناصر الخطاب الأدبي فهو " ليس بديلا لمصطلح الكلمة، ولكنه تحول لها، فالكلمة اللغوية تظل كلمة في كل مجالات استعمالها ما عدا حالة التجربة الجمالية حيث تتحول إلى إشارة وذلك بأن تتخلى عن نظرها الآخر، التصور الذهني لها، وتحفظ بجانبها الصوتي وهذا ما يضمن لها حرية الحركة وتحقق لها انعتاقا ويفرغها من متصورها الذهني الذي كان عالقا بها ويمكنها من إحداث الأثر"⁶⁴ وعليه فشعرية الكلمة، تشمل في مراوغتها لمعانيها وفي توجيهها المستمر نحو التكتيف الدلالي.

(5) اتجاه البلاغة العامة:

من أبرز الإسهامات التي رامت تجديد البلاغة التقليدية، ما قدمته جماعة " mu " في كتابها " البلاغة العامة" من خلال اهتمامها بالتنظير للبلاغة في ضوء المناهج الإنسانية عامة و اللغوية خاصة، فعملت على الربط بين التنظير و التطبيق، "بين وضع الأسس

⁶³-jakobson roman.huit questions de poétique.édition de seuil paris 1977.p 164

⁶⁴- عبد الله الغدامي، نشر يچ النص، ط 1 دار لطباعة للطباعة و للنشر ن بيروت، 1987، ص 10

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

اللسانية للانزياح وتفسير مختلف الانزياحات للغة الشعرية و الخطاب السردي و محسنات التجاور خلال التواصل⁶⁵

وهكذا أعلن تيار البلاغة البنيوية العامة في الستينيات من القرن العشرين الذي تبناه نقاد فرنسيون وألمان، القطيعة مع البلاغة القديمة، إلى جانب اتخاذه مبادئ الشكلية وسيلة لإضفاء الصبغة العلمية لا الأيديولوجية، على أبحاثه، واعتماده على الإرث اللساني والنقدي " كذلك الذي قدمه فونتاني لمحسنات الأدب عامة في كتابه "Les figures du discours" ،ودروس في اللسانيات العامة لسوسير، وتأثير بنفيست و جاكبسون وموجة النقد الجديد وجهود جماعة نيل كيل وإنجازات جون كوهن بشأن بنية اللغة الشعرية⁶⁶

إذن، لقد استفاد هذا التيار من زعامة البنيوية، التي ظهر معها مفهوم العلامة باعتباره " نقطة البدء في استكشاف الرسالة طبقا للمفهوم المتداول في علوم الاتصال الحديثة⁶⁷ " ترى جماعة " mu " ضرورة استكشاف البلاغة القديمة بما تتيحه مبادئ البنيوية، " وذلك عن طريق توزيع وحداتها بين مستويي اللفظ و التلفظ... فقامت بإرجاع الأجزاء الخمسة في البلاغة القديمة، الغرض - الترتيب - العبارة - الذاكرة - الفعل إلى ما يمكن أن يندرج تحت كل من ثنائية اللفظ و التلفظ ..."⁶⁸

ولم تكتف جماعة " mu " بهذا، بل انكبت على التحليلات النصية لقضايا التناسق والانسجام، كما اهتمت بقضايا الشعرية، حيث أشارت إلى حدود التداخل بين البلاغة والشعرية " فيتم الجمع مثلا بين بلاغة أرسطو و شعرية في كلام واحد، فالبلاغة هي معرفة سبيل اللغة التي تميز الأدب أما الشعرية فهي معرفة المبادئ والأسس العامة للقصيدة⁶⁹ أضف إلى ذلك اهتمامها الواضح بقضايا الزخرفة اللفظية و المحسنات محاولة التخلص منها عن طريق توظيف مصطلح البنية .

⁶⁵ - الحسن أبو جلابين، الانزياح المنطقي من منظور جماعة مو، مقال في مجلة علامات ج 67، مج 17، نوفمبر 2008 ص 165.

⁶⁶ - م، ن ص ن.

⁶⁷ - صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النفس ص 82.

⁶⁸ - محمد سالم أمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 140.

⁶⁹ - م، ن، ص 22.

بلاغة المحسنات الدلالية: تنطلق جماعة "mu" في تحليلها للمحسنات الدلالية *Figures de signification*، من التصور البنيوي للدلالة، والذي يرى أن الخطاب قابل " للتحليل إلى وحدات صغرى لا تقبل التجزئة سواء على مستوى الدال، وهي السمات المميزة *traits distinctifs* أو على مستوى المدلول وهي السمات⁷⁰ وعلى هذا فان محسنات الدلالة، والتياليها تنتمي الاستعارة، ترتبط بمجال التحولات الدلالية *métasèmèmes* التي تقع على مستوى المضمون وهي " محسن *figure* يستبدل سيميما *sèmème* بسيميما آخر يعدل من تجمع سمات درجة الصفر⁷¹.
الاستعارة واليات اشتغالها عند جماعة " mu "

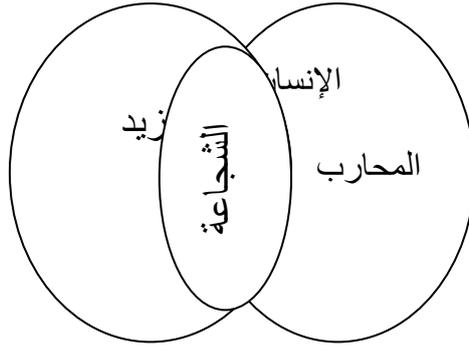
تري جماعة " mu " أن الاستعارة هي تعديل *modification* للمضمون الدلالي للكلمة وليست استبدالاً للمعنى بمعنى آخر، ويحصل هذا التعديل بتضافر مجازين مرسلين " إن الاستعارة لا تفرغ الكلمة المستعارة من معناها الحقيقي وتتنزع عنها سماتها الضرورية وإنما تقوم بإجراء بعض التعديلات على المضمون الدلالي المتكون من السمات " ⁷² لتحقيق البعد الجمالي أو الإقناعي .

ففي الاستعارة التقليدية زيد " أسد " يشعر القارئ بذلك التنافر الدلالي بين المسند والمسند إليه، فيدفعه ذلك إلى البحث عن السمات بين زيد وأسد، حسب درجة كفاءته وثقافته حتى يصل إلى سمة التطابق المقصودة وهذا معناه حذف سمة حيوان مفترس والتركيز على سمة الشجاعة التي تؤلف بين الأسد وزيد، وذلك حسب المرجعية الثقافية للقارئ، وهنا تستكشف ضرورة الطرق المشترك وأهميته في رفع المنافرة الدلالية، و تأسس المطابقة بين عنصرين متباينين، كما توضحه الخطاطة التالية :

⁷⁰ -groupe u. rgénérale .paris. éd .de seuil -1982p 30

⁷¹ -علامات، مجلة ثقافية محكمة، ج 56 مج 14، يونيو 2005، ص 209.

⁷² -م، ن، ص ن.



كما أن للجزء غير المشترك أهمية " في خلق أصالة الصورة وجديتها وتفعيل استراتيجيتها نفي الانزياح عبر الانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثاني .

فالاستعارة، إذا، تعتمد على تطابق حقيقي يتمثل في السمة المشتركة بين المستعار منه و المستعار له من أجل بناء تطابق مطلق بينها

فالعلمية الاستعارية مشكلة من كلمة انطلاق، نقطة اشتراك، كلمة الوصول مع التأكيد على أن نقطة الاشتراك التي تمثل أساس التطابق بين الطرفين هي افتراضية أو عقلية ولا تخص في الخطاب أبدا حسب جماعة "mu" وتكون أما فهما قسما محددًا أو تقاطعاسيميا حسب وجهة النظر المتبناة .

6/ اتجاه الفلسفة والبلاغة (ريتشاردز):

يرى بعض الباحثين أنّ التأسيس الثاني للبلاغة قد قام على يد ريتشاردز بعد التأسيس الأول الذي أقامه أرسطو على فكريتي التأثير والإقناع.

فريتشاردز في كتابه فلسفة البلاغة الصادر سنة 1936 يناقض فكرة أرسطو مقراً بأنّ وظيفة البلاغة هي دراسة طرائق سوء الفهم في التوصيل اللغوي وبذلك قرر القطيعة مع المقاربات بالألفاظ البلاغية القديمة معلنا أول مشروع لتحديث البلاغة وهو مشروع سيستأثر بعد عقود باهتمام الباحثين في مجلات عدة كاللسانيات والسيميائيات.

ينطلق ريتشاردز في تصوره من أساس نقد خرافة المعنى الخاص وهو المفهوم الذي يعد الحجر الأساس في مشروعه فينتقد التصور الكلاسيكي القائل بأنّ لكل مفردة معنى خاصاً ملازماً لها في جميع الأحوال مهما اختلفت سياقاتها أو حالات استعمالها، حيث، حسبه لا معنى للمفردة في ذاتها، إنّما تتحدد دلالاتها المختلفة تبعاً لمختلف السياقات التي ترد فيها وفي علاقاتها مع ما جاورها من كلمات، سواءً كانت حاضرةً هي الأخرى في السياق

أم غائبةً عنه ويرى: "أنّ الكلمة المفردة التي تأتي معزولةً عن بقية الكلمات المنطوقة أو المفترضة ليس لها معنى في ذاتها شأنها شأن أية رقعة ملونة في لوحة لا تكتسب حجماً أو مساحةً ما لم توضع في إطار معين.

يقول: "أما نحن فنفضل أن نعامل المعنى وكأنه نبات ينمو وليس وعاءً مملوءاً أو كتلةً من الطين أخذت شكلها وانتهت، هذه نواقض واضحة ولكنها، كما يبين تاريخ النقد، لم يتم تحاشيها..."⁷³.

إنّ هذه الخرافة التي يتحدث عنها هي إقرار بنوع من الثبات في معاني بعض الكلمات وفي هذا الثبات إضفاء للتقنية التي تتعارض مع تعددية المعنى في الدراسات البلاغية خصوصاً في تحليل الاستعارات فإذا سلّمنا بصحة الثبات المعنى لا تكون الاستعارة في هذه الحال إلا خلاصة علاقة إسناد بين حامل ومحمول، وهذا ما ينتقده ريتشاردز بدءاً بانتقاده مجموعة من المفاهيم السائدة في البلاغة الكلاسيكية والتي قدمت حسبه تحت اسم الترابطية Associationism من أجل فكرة آلية اشتغال اللغة والفكر؛ تبعا لما قلناه فالتغير في المعنى سمة أساس من سمات اللغة وأما الثبات فما هو إلا خرافة يجب تجاوزها لكن لهذه الحيوية في المعنى حدود، فنظريته تقول أنه ليس من الضروري أن تضم الفقرة أو الكلمة معنى واحداً بل يمكن أن تحتوي معنيين قد يكونان متناقضين وفي مقابل هذا الطرح فإنه لا يعتقد بلانهاية المعاني والدلالات من خلال انفتاح النصّ وغياب المؤلف كما يذهب إلى ذلك التفكيكيون، وعلى هذا الأساس فتصور ريتشاردز للمعنى يقع في منطقة الوسط بين أحادية المعنى ولا نهائيته.

الاستعارة نظرية في البلاغة: ينطلق ريتشاردز في تصوره لمفهوم الاستعارة واشتغالها مما يذهب إليه أرسطو في فن الشعر حيث يقول بأنّ أعظم شيء هو القدرة على صياغة الاستعارة... إنّ صياغة استعارات تعني القدرة على رؤية المتشابهات وعليه يدحض ريتشاردز فكرة أنّ الاستعارة انحراف عن النمط الاعتيادي في الاستعمال اللغوي فقد " عولجت في تاريخ البلاغة على أنّها لعب ومناسبة لاستغلال خصائص اللغة واستعمالاتها المتعددة وعلى أنّها شيء يوضع مكان شيء آخر في بعض الأحيان إلا أنّه يتطلب مهارة

⁷³ - آ. أ. ريتشاردز، فلسفة البلاغة، تر: سعيد الغانمي وناصر حلاوي، إفريقيا الشرق، ط1، 2002، ص 21.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

غير اعتيادية وحادراً، باختصار، اعتبرت الاستعارة جمالا وزخراً فأً أو قوةً إضافية في اللغة وليست الشكل المكون والأساس لها⁷⁴.

إنّ الاستعارة حسب هذا التصور ليست مجرد استبدال إنّها "المبدأ الحاضر أبداً في اللغة... فنحن لا نستطيع أن نصوغ ثلاث جمل في أي حديث اعتيادي سلس دون اللجوء إلى الاستعارة"⁷⁵. فهو يؤمن بأنّ تظاهر الانسان بأنه يفعل شيئاً دون استعارة ما هو إلا خدعة مستدلاً بما يذهب إليه جونسون من أنّ التعبير الاستعاري سمة رفيعة من سمات الأسلوب عندما يستعمل بشكل حسن بأنه يعطيك فكرتين غير أنّه يعترض على جونسون في كون الاستعارة تولد فكرتين فريتشاردز يراها حاصل تفاعل فكرتين لشيئين مختلفتين تعلمان معاً وتستندان إلى كلمة واحدة أو عبارة واحدة يكون معناها حاصل تفاعل فكرتين مختلفتين إنّها نتيجة علاقات بين الأفكار وتبادل بين النصوص وليست مسألة تحويل أو استبدال للكلمات.

فالفكر الإنساني استعاري وهو يعمل بوساطة المقارنة ومنها تنبثق الاستعارات في اللغة، ولتطوير نظرية الاستعارة لا بد أن نتذكر هذا ونعير اهتماماً أكيدا إلى المهارة الفكرية التي نمتلكها⁷⁶.

عمل ريتشاردز على تبسيط فكرة الاستعارة مقترحاً مصطلحي الحامل والمحمول (Tenor and vehicle) ودرءاً لسوء الفهم الذي قد يصاحب هذين المصطلحين حيث كثير لا يدرك أيهما الحامل وأيهما المحمول راح يفسرهما بالفكرة الأصلية والفكرة المستعارة أو الموضوع الأساس وما يشابهه، محذراً من مغبة استعمال أحدهما بمعزل عن الآخر لما يترتب عن ذلك من حالات سوء الفهم يقول: "غير أنّ استعمالها لطرف واحد من هذين الطرفين المكونين للاستعارة بشكل منفصل عن الآخر مضر كتلك الخدعة التي بوساطتها نستعمل كلمة المعنى مرةً لما تقوم به الوحدة المزدوجة كلها ومرةً للدلالة على طرف واحد منهما هو المحمول كما أسميه"⁷⁷.

⁷⁴ - آ. أ. ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص 92.

⁷⁵ - م، ن، ص 93.

⁷⁶ - م، ن، ص 96.

⁷⁷ - م، ن، ص 98.

إنّ هذا النقص لم يحض بمعالجة البلاغيين القدامى كما يرى معرجاً على التضليل الذي قد تمارسه بعض المصطلحات على الفهم مثل كلمتي مجاز وصورة فهما تستعملان في بعض الأحيان للدلالة على الطرفين ومرةً للدلالة على طرف واحد وبالتالي فالاستعارة ينبغي أن تكون محصلةً لتفاعل الطرفين معاً ولا يمكن الحصول عليها دون التفاعل المشترك بينهما، ثم إنّ الحامل ليس زخرفاً للمحمول بل إنّ تعاون كل منهما يعطي معنى ذا قوى متعددة ولا يمكن أن ينسب المعنى إلى أي منهما منفصلين.

السياق نظريةً في المعنى:

الإجابة عن السؤال: "كيف تعني الكلمات ما تعنيه؟"⁷⁸ يفترض مقارنة حصول المعنى، باعتباره نتيجةً لقوانين مسببة، بما يحدث في الطبيعة بصفة متكررة وصيغت من أجله قوانين الطبيعة قانون السببية هذا "يعني أنّ حدثاً ما يقتضي تحت ظروف محددة حدثاً تالياً له ونسمي اعتيادياً الحدث الأول (العلة أو السبب) والثاني (المعلول أو النتيجة)"⁷⁹. مع إمكانية حدوث الأمرين في الوقت كالشعور بالوخز في راحتي اليدين حال التصفيق مع التنبيه ههنا إلى أنّ السببية هي غير الغائية وبناءً على ما تم بيانه فالسياق يشير بشكل عام إلى مجموعة الأحداث المترامنة وندخل في ذلك الشروط المطلوبة وما نختاره مما يمكن أن نسميه علةً أو معلولاً.

يقر الباحث أنّ "معنى الكلمة هو الأجزاء الغائبة عن سياقها"⁸⁰. وهذا ما يجعل احتمالات سوء الفهم قائمة، "ويجعلنا نتوقع الغموض ويأوسع نطاق وفي كل مكان ويأدق ما يمكن أن يكون وبالطبع سنجدده، وإذ تعامل البلاغة القديمة الغموض على أنّه عيب وقصور في اللغة فتسعى إلى حصره أو إلغائه ترى البلاغة الجديدة أنّه نتيجة حتمية لسلطان اللغة ووسيلة لا يمكن الاستغناء عنها في أكثر تعابيرنا أهمية ولا سيما الشعر والدين..."⁸¹.

⁷⁸- آ. أ. ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص 31.

⁷⁹- م، ن، ص 40.

⁸⁰- م، ن، ص 44.

⁸¹- م، ن، ص ن.

ويذهب ريتشاردز بعيداً في انتقاده أصحاب مذهب الاستعمال الذين يرون أنّ أحسن الكلام هو ما مارسه أفضل الكتاب والمتكلمين معتمدين على المبادئ الأربعة الكبرى في الاختيار وهي الصواب والدقة والمناسبة والمقدرة التعبيرية ويسخر من قولهم "إنّ الصواب هو أول مطلب أساسي فمعاني الكلمات تستقر بالاستعمال ولو استعملنا كلمة استعمالاً غير صحيح... فإنّ القراء سيتخبطون ويظنون بها الظنون أو في الأقل سيصلون إليها بالاستدلال والتخمين"⁸². لقد عد أصحاب مذهب الاستعمال الاستدلال والتخمين عيين لكن ريتشاردز يعتبرهما أفضل طريقة للتفسير فالمعاني نتائج لا يمكن الوصول إليها إلا عبر تفاعل الاحتمالات التفسيرية في عموم القول وهذا أفضل من الاعتقاد في أنّنا قياساً أصحاب نظرية مذهب الاستعمال.

6) البلاغة والاستعارة المعرفية (مارك جونسون و جورج لايكوف):

أعطى كتاب مارك جونسون وجورج لايكوف الذي يحمل عنوان " الاستعارات التي نحياها دفعا قويا للثراء الفكري الذي ميز الأبحاث في باب الاستعارة والمجاز في الثقافتين العربية والغربية لفترة طويلة فقد قدم هذا الكتاب تفسيراً جديداً للظاهرة الاستعارة يختلف اختلافاً جذرياً عن التفسيرات السائدة، والتي كانت تركز على الطبيعة اللغوية المحضة للاستعارة، فالاستعارة حسب الفهم التقليدي، هي تغيير على مستوى اللغة حيث تحل كلمة محل أخرى على أسس اختلف الباحثون في تحديدها، فقال بعضهم بالتشبيه بين المستعار والمستعار له، فيما قال آخرون فكرة الاستبدال ومفادها أن مستخدم الاستعارة يعرف عدم استطاعة العقل قبول كسر القواعد الدلالية المباشرة للغة ولذا فإنه يستبدلها في ذهنه بعبارة أخرى مقبولة من قبل العقل، " وأما الاستعارة عند جونسون ولايكوف فهي ظاهرة ذهنية يتم فيها إسقاط مجال حياتي معين على مجال آخر ولا علاقة للاستعارة بالعنصرية بل إنها لازم من لوازم معيشة كل إنسان"⁸³، ويمكن تتبع مظاهر الاستعارة في الأحاديث اليومية، كما يمكن رؤيتها مثلاً في الشعر والخطاب السياسي والخطاب الديني وغيرها "أي أنها (الاستعارة

⁸² - أ. أ. ريتشاردز، فلسفة البلاغة، ص 58.

⁸³ - عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، مؤسسة عمان للصحافة و الأنباء و النشر و الإعلان، مسقط. ط.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

(، شأن ذهني خالص يقتصر دور اللغة فيه على عملية العكس كما تعكس المرآة الضوء⁸⁴ لقد أظهرت هذه النظرية قدرتها المذهلة على كشف أن جانبا كبيرا من الحياة والفكر والفلسفة في الغرب يقوم على إسقاطات استعارية في جوهرها، حيث لا يعتبر الكاتب الاستعارة من ممتلكات الأدب وإنما أمر من الأمور التي غيابها كالهواء والماء وهذا الفهم هو انقلاب تام على التفكير التقليدي، ويمكن إبراز أهم ما يميز هذه النظرية في مايلي : " أنها ليست أمرا من أمور اللغة وإنما هي ظاهرة ذهنية قبل أن تكون لغوية حيث طرح الكتاب رؤية مفادها أن الاستعارة هي عملية ذهنية وليست لغوية، وإن ما اصطلح عليه تقليديا بكونه استعارة ليس إلا تجليا للاستعارة الذهنية أو تعبيراً عنها"⁸⁵.

فعبارات مثل:

- لو فكرت جيداً لرأيت كيف أن أفكاره ستقودنا إلى الهلاك.
 - هذه رؤية جديدة للمجتمع.
 - سأدافع عن أفكارك رغم أنني لا أرى ماتراه.
- تتشرك العبارات السابقة في كونها توصي بأن عالم الأفكار هو عالم أشياء يمكن رؤيتها و يمكن أن تكون واضحة أو غامضة.
- إنّ هذه التعبيرات تشير إلى مستوى أعمق تحكمها جميعا وهو مستوى الاستعارة المفهومية أو التصورية، وهذا المستوى لا يحدث في اللغة وإنما في الذهن وفي فهمنا للأفكار وعملية التفكير ذاتها، يحدث هذا الآن عالم الأشياء المادية معروف لدينا معرفة جيدة بينما عالم الأفكار هو عالم مجرد، بتسجيل التفكير فيه دون استخدام ما نعرفه عن الأمور المادية لنشكل ما لا نعرف من الظواهر المجردة .
- 2- وهذا يدل على قيام الاستعارة على التشكيل لا على التشبيه، ففي الأمثلة المذكورة
- 3- إذا كانت الاستعارة بهذا الفهم، فهي ليست حكرًا على الأدب وإنما هي من الأمور التي لا يفترض غيابها في تصوراتنا الحياتية كلها، فجانبا كبيرا من تصوراتنا وتفكيرنا غير الواعي حول الظواهر المجردة تحكمه استعارات تصورية لا نلاحظها عادة، لكنها تحكمنا دون أن ندري.

⁸⁴- عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص 8.

⁸⁵- م، ن، ص 19.

التفكير وتشكل بنيته هذا التصور من خلال ظاهرة البصر المادية.

" فالاستعارات مثل : الجدل معركة ، الزمن حركة، أو كقولنا: ولت أيام الشباب.

تدل على أن كثيرا مما لا نتوقف عنده من تعبيرات يشير إلى استعارات مفهومية تحكم جانبا كبيرا من تفكيرنا غير الواعي، وتدل أيضا على إبداع الشعراء وعدم توقفهم عند الاستعارات التي يقولها العامة فجونسون ولا يكوف يريان أن الشعراء يستعملون الاستعارات نفسها تلك التي يستعملها غيرهم ولكن إبداعهم يكمن في رؤية جانب من نفس الاستعارة التصويرية لا يستخدمه عامة الناس، "لقد أثار كتاب الاستعارات التي نحيا بها ثورة في رؤية الاستعارة ومناهج دراستها، فلقي رفضا وانتقادا من المتمسكين بالتصور التقليدي للاستعارة حتى أن بعضهم اعتبر جونسون ولا يكوف أعداء متسترين تحت قناع الأصدقاء" ⁸⁶.

ولكن على الرغم من هذه الانتقادات فإن تطبيقات هذه النظرية في مجالات سياسية شتى كالسياسة والاقتصاد وغيرهما أوضحت أن جانبا كبيرا من التفكير هو استعاري في جوهره وأن الاستعارة تحكمنا في كثير من جوانب حياتنا دون أن ندري.

وقد قويت نظريتها بكتابين، الأول أصدره لايكوف بعنوان: "نساء ونار" فيما أصدر جونسون كتابا بعنوان : "الجسد في العقل، الأسس الجسدية للدلالة والتخيل والتفكير العقلي" وكان ذلك سنة 1987.

ركز لا يكوف في كتابة على لب الفلسفة التجريبية واختلافها على الفلسفة الموضوعية السائدة كما ركز جونسون على أحد أهم جوانب الفلسفة التجريبية وهو الدور المحوري للجسد في تشكيل الذهن " فيما انصبت معالجة كتاب؛ الاستعارات التي نحيا بها للاستعارة على أساس تشكيل المجالات الذهنية من خلال التعامل معها وكأنها ظواهر مادية من خلال نقل بنية الظواهر المادية إلى الظواهر المجردة فان الجسد في العقل قد قام باستكشاف جوانب أخرى من جوانب محورية دور الجسد والمادة تمثلت في دور مخططات الصور في عملية الاستعارات المفهومية" ⁸⁷

⁸⁶ - عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص 21.

⁸⁷ - م، ن، ص ن.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

يجادل الكتاب الجسد في العقل بأن تشكيل الدلالات والمعاني وعملية التخيل إضافة إلى عملية التفكير العقلي تقوم كلها على عمليات استعارية تقوم فيها مخططات الصور بدور المجال المصدر حيث ينتقد جونسون النظريات التقليدية للدلالة، والتي أبرز آرائها. أن المفاهيم هي تمثيلات ذهنية مجردة يتم استخدامها لتحديد الظواهر المادية التي تشير إليها أو سماتها أو علاقتها، فمفهوم الكتاب مثلاً؛ يشير إلى كل الكتب الموجود.

- إنَّ المعنى هو علاقة تجريدية بين رموز معنية بالكلمات أو التصورات الذهنية وبين واقع مادي محسوس حيث لا يوجد للرموز معنى سواء بارتباطها بأمر مادية وصفاتها أو العلاقات فيما بينها.

- إنَّ المفاهيم غير متجسدة حيث أنها لا ترتبط بتجربة مادية معينة فيما أن الصور الذهنية قد ترتبط بتجربة مادية، فمفهوم الكرسي مثلاً مفهوم عالي التجريد فيما أن صورة الكرسي الذهنية قد تكون مرتبطة بتجربة شخصية.

- إنَّ وظيفة نظرية الدلالة هي القدرة على شرح قابلية الرموز للدلالة وذلك عن طريق توضيح الظروف التي تكون فيها تلك الرموز صحيحة من خلال ارتباطها بواقع معين.

- إن أي تحليل للدلالة لا بد أن يقوم أساساً على مفاهيم واقعية وليست مجازية فالمفاهيم لا يمكن أن تكون مجازية أبداً، فالمفهوم لا بد أن يشير إلى ظاهرة مادية يمكن استكشافها فيما أن المجاز والاستعارة لا يمكن مقارنتها بواقع محدد يمكن به التثبت من صحتها، أما عن التفكير العقلي فالنظرية الموضوعية تقوم على الأسس التالية.

- إنَّ التفكير العقلي هو معالجة تحكمها قوانين معينة للارتباطات بين مجموعة معينة من الرموز بمعنى أن ثمة قوانين منطقية تتحكم في عملية معالجة كيفية ترابط الرموز بعضها ببعض في عملية التفكير العقلي.

- "إنَّ لبَّ عملية التفكير العقلي هو المنطق الشكلي، أي يمكن الربط بين المفاهيم لتشكيل أفكار مختلفة الأنواع وهناك عدد محدد من الروابط المنطقية مثل حرف

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

العطف" " و"أو" و"إذا كان"..... إلخ التي تعين العلاقات الممكنة، سواء كان فيما بينها المفاهيم أو الأفكار⁸⁸.

إنّ التفكير العقلاني لا علاقة له بالجسد والمادة حيث أنه يحتوي على علاقات منطقية خالصة التجريد وعمليات مستقلة قائمة بذاتها في ذهن الشخص المفكر ترتبط به كشخص "وهنا فإن بعض ممثلي النظريات الموضوعية قد تحدثوا عن الاستعارة باعتبارها ظاهرة ذهنية خلاقة غير أنهم نظروا إليها من خلال علم النفس ولم يربطوها بالعلاقات المنطقية والتفكير العقلاني"⁸⁹.

يحدد جونسون هدف نظريته في "إعادة الجسد إلى الذهن" ويوضح مفهومه للجسد في "الأبعاد غير الخبرية والتجريبية والاستعارية للمعنى والدلالة" ويرى أن الجسد أساسي في تحديد هويتنا البشرية و حقيقة أن تفكيرنا البشري يظل مرتبطا بوجودنا المادي وتجارنا وعلاقتنا بالواقع المادي من حولنا وليس تفكيرنا مجردا غير مرتبط بالمادة بشكل من الأشكال، وهذا يتناقض مع النظريات الأخرى التي رأت أن التفكير المجرد هو الذي يميز الإنسان عن سائر الكائنات الحية وأنّ هذا التفكير متعال لا يرتبط بالمادة بأي شكل من الأشكال.

إنّ التحدي الذي يطرحه جونسون، يقوم على أساس "مخططات الصورة" التي يمكن تعريفها بأنّها بنى متكررة في الفهم الإنساني لظواهر حياتية شتى وسابقة على أي عملية تفكير عقلي ومن أمثلة هذه المخططات - الحركة، القوة، العلو، الانخفاض فمخطط الحركة يقوم على تجربتنا المادية بحركة جسدنا من موقع لآخر وحركة سائر الأشياء المادية الأخرى، ومخطط القوة يوجد في كثير من مظاهر حياتنا المادية كقوة الريح، قوة الزلزال، قوة الثور... الخ

وبالتالي فمفهوم مخططات الصورة مفوم متعال على الظواهر المادية لكنه يحكم رؤيتنا لها إنّ هذه المخططات تتسم بأنّها سابقة للمفاهيم بمعنى أن وجودها يسبق وجود المفاهيم التي تقوم عليها من خلال الاستعارة.

⁸⁸ - عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارة المفهومية، ص 23.

⁸⁹ - م، ن، ص 24.

(7) اتجاه التأويل و البلاغة (بول ريكور):

كان لتعدد المناحي الفكرية المميزة لتوجه بول ريكور، كعلم الاجتماع، البلاغة، علم النفس اللسانيات وغيرها أثر واضح في الدراسات البلاغية و اللسانيات المعاصرة. - تظهر اهتماماته بالبلاغة في إطار مباحثه في الهيرمينوطيية، وفي دراساته للسرد بوصفه ظاهرة بلاغية وجودية تستوجب الإحاطة بالعلوم المختلفة لاسيما الإنسانية منها. تتجلى تصوراتهِ للبلاغة في ثلاثة مراحل:

1- يرى في صراع التأويلات (1969) أنّ التأويل عملية معقدة تتداخل فيها عديد المعارف والعلوم لارتباطه بالتقليد والمؤسسة التي يتم داخلها . - إنّ التأويل عند ريكور باعتباره من أهم المظاهر الفكرية المتجلية في مختلف الطاقات البلاغية هو عملية وجودية تتحقق فيها إنسانية الذات من خلال اللغة، فهي أي اللغة تقصد أهدافها معينة من خلال النصوص، والفعل القصدي. - تختلف عن غيره يكون، منفتحاً دوماً على القراءات التي تمزج بين معطيات لحظتي الفهم والتفسير، كي يتحدد الفعل القصدي مع مجرى الأشياء فيها يسمى بالتداخل المقصديالذي يضاف إليه التداخل المرجعي. Intervention intentionnelle.

interférence. " فيؤدي ذلك الى تحطم القيود بين النظام الذهني للفهم والنظام المادي للتفسير"⁹⁰ مع الإشارة ههنا إلى ضرورة تضافر هذين النظامين في كل عملية تأويلية جادة هدفها ربط العلاقة بين الذات والمعنى.

إنّ المعنى عنده عالم مفتوح كفكك طلاسمه الذات حين تؤول نفسها عن طريقاستحضارها للنصوص الحجاجية التي يستقرأ بها النص الجديد، لأنّ النصّ الجديد يهيئ شروط بناء ذات مختلفة عن الذات القارئة وتبلغ العملية الحجاجية أوجها عندما ينجح القارئ بتوقعه ملامح ذات النص وروافده المختلفة .

يولي بول ريكور أهمية بالغة لقطبي الحدث اللغوي (المتكلم والكلام)، فللمتكلم أن يختار من اللغة العلامات الضرورية ثم يقيم بينها مختلف العلاقات المتاحة عن طريق قدرته ومتطلبات المقام .

⁹⁰-P .recoeur du texte a l'actioned seuil paris 1986.

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

إنه في تصوره هذا "يمارس الحجاج النقدي ضد البنائية -إلى حدما - محاولا إثبات أولوية الكلام على اللغة والحدث على النظام و المعنى على البنية"⁹¹ لا يعني هذا أنه يلغي البنيوية، لأنّهيرمينوطيقياه هي تأويلية أدبية توظف كل نتائج المناهج النقدية حسبما تقتضيه الضرورة، لأنّه ينادى إلى تأويلية منفتحة.

"انفتاح النص الأدبي والنصّ النقدي العميق على حدسواء "Herméneutique ouvert". إنّ بنائية درجة من درجات المهارة الهيرمينوطيقيةومع هذا فهي لا تبسر كل أغوار النصّ عند ريكور أنّها نقطة بداية، حيث لايمكن للنص أن يكون مقبولا عن الحياة والوجود، ولهذا اهتم ريكور بما تتيحه المناهج المختلفة من آليات تأويلية تحليلية كالمنهج النفسي يساعد على تحليل الرموز واللّوعي الكامن وراء النصوص من أجل الوصول إلى بناها الأساسية. المنهج الظاهر التي يقدم تحليلات لعلاقة الواقع بالرمز، وكذا دراسة الظواهر في علاقاتها بالوعي الخالص.

وأما البنائية - عنده - فهي درجة من درجات المهارة الهيرمينوطيقية. إنّها ليست غاية في حد ذاتها، بل هي نقطة بداية، لأن الاكتفاء بالبنية ليس كفيلا بعبر كل أغوار النصّ.

وفي نظره دائما يتوجب على علم السيمياء، أن يوائم في تحليله بين المستويات العلامية للموضوع والمستوى الدلالي للمعنى من جهة،ومن جهة أخرى عليها توضيح التغير في الاستعمال بين العلامة في صيغتها الاجتماعية الخام.

وما تكتسبه من خصائص عند الاستعمال الفردي لها في النصوص الإبداعية مثلا. إنّ تأويلته بهذا المفهوم هي تفسير الظواهر عبر الوسيط اللغوي الحامل لرموز عامة وخاصة بهدف الوصول بنا كمؤولين إلى درجة عالية من الوعي بذواتنا "لأن كل وعي يقبل التأويل زائف في نظر ريكور"⁹².

تمكن إذن أهمية الرمز عند ريكور في كونه حاملا للمعنى من جهة ومن جهة ثانية للتجربة الإنسانية .

⁹¹ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 160.

⁹² - Paul recueur.la métaphorevie.éd.seuie paris 1975p100/101.

البلاغة من خلال كتاب الاستعارة الحية: في كتابة الاستعارة الحية "1975" يعرف ريكور البلاغة بأنها " سلوك فلسفي يهدف إلى السيطرة على القوانين الأساسية للاستعمال اللغوي

وبهذا التركيز على الاستعمال اللغوي توضح البلاغة في الإطار الفعلي لكل من الفهم والتواصل وإذا تكون البلاغة هي نظرية الخطاب أو هي الفكر الذي يغدو بدوره خطابا وفي آخر المطاف تكون البلاغة : " دراسة الفهم وسوء الفهم الفعلي وكل ما من شأنه معالجة ذلك"2

توجه الخطاب إلى منحى معين يكسب مقاطعة كلماته ما يسميه ريكور النجاعة المعزوزة" التي هي مفتاح فهم السياق و الإحساس بالأجزاء الناقصة . 'l'efficacité 'déléguée". إذن تعتبر دراسة سوء الفهم وسوء معالجة الفهم من أهم مشاغل البلاغة عند ريكور ويعتبر صنف الدلالة والوعي بتاريخ متوقعاتها وبتنوعاتها السياقية سبقا للأنواع والأجناس الخطابية باختلاف المجتمعات، من أهم آليات معالجة سوء الفهم البلاغي القائم على الجدول، عن أسلوب معين إلى آخر لأغراض معينة.

تلعب الاستعارة دورا فعالا في مختلف الأشياء نظرا كما توحى به من شراء وتنوع في الدلالة. وبذلك تخلق ما يسمى بالعدول، لأنها "تحتفظ في آن واحد بفكرتين لأشياء مختلفة نشطة داخل الكلمة والعبارة البسيطة ذات الدلالة التي هي المحصلة الأساسية لتفاعلها " ولا يتعلق الأمر هنا بتغيير موقعي بسيط للكلمات، ولكن بالأحرى بما تمكن تسميته حركة تجارية بين الأفكار أو العبارة أخرى حركة مبادلات بين السياقات، وإذا كانت الاستعارة مهارة وموهبة فإنها موهبة فكرية والبلاغة ليست سوى انعكاس وترجمة لهذه الموهبة داخل معرفة متميزة

93»

واستنادا على هذا الطرح جاء تصور ريكور للاستعارة القائم على الربط بين الموهبتين الاستعارية والبلاغية من أجل إعادة ترميم نظرية الوجوه البلاغية بالاستتناس بالعديد من

الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية

التصورات الدلالية البنيوية، ولذا فالبلاغة الجديدة تسعى وبوضوح "إلى بناء مفهوم للاستعارة مؤسس على مفهوم الوجه البلاغي".⁹⁴

وهذا ما يجعل الاستعارة باقية على صورتها في البلاغة الكلاسيكية، أي أنها وجه استبدال "figure de substitution".

على مستوى الكلمة ولكنها "مؤطرة بمفهوم عام هو الانزياح" نظرا لتعدد الوظائف الأسلوبية والحجاجية لمفهوم راح بول ريكور يعتبر البلاغة مجموعة انزياحات قابلة لأن تتعدل ذاتيا عن طريق الإدراج في السياقات المناسبة، نقديا أو إبداعيا، كما أنّ هذا التعديل أو التكييف قد يتم عن طريق خرق بعض القواعد اللغوية المعروفة وابتكار أخرى تحل محلها، وذلك لتحقيق غايات متعددة، إبلاغيه، تواصلية نقدية الخ.⁹⁵

زيادة على البعد الحجاجي للاستعارة المتمثل في التأكيد على المعاني بعد إبرازها للاستعارة أيضا أن تلعب أدوارا أخرى، فهي تدفعنا إلى التفكير لأنها تخلق علاقات متعددة بين الأشياء، لكونها ذات خصائص لغوية وجمالية مرنة لجعلها تأخذ في كل مرة دورا وشكلا جديدين بحسب النوع أو الجنس أو السياق، لهذا عدت "اللون البلاغي الأقدر من غيره على التعبير عن الطبيعة الاحتمالية للمعنى والدلالة من جهة، وعن الواقع كما يراه المبدعون والنقاد من جهة ثانية"⁹⁶.

أضف إلى ذلك كونها ديناميكية نتيجة للتوتر المتمثل في الخطاب الاستعاري، مما يمنحها مزيدا من الانفتاح على التأويل والتحليل نظرا للترابط الذي يجمع بين الوظيفة الشارحة والوظيفة الواصفة، داخل الاستعارة.

هذه المرحلة (مرحلة بلاغة السرد) *la rhétorique de récit* تمثل ذروة المشروع الريكوري لأنها "حصيلة أبحاثه في البلاغة والتأويل والأديان والفلسفة بشكل عام.

⁹⁴ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 166.

⁹⁵ - م، ن، ص 166.

⁹⁶ - م، ن، ص ن.

الفصل الثاني:

امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغاربي:

1- اتجاه البلاغة و الحجاج.

2- بلاغة تقاطع التخيل و التداول.

3- البلاغة و السميائيات.

1- البلاغة و الحجاج (حمادي صمود):

تبنى حمادي صمود البلاغة العربية و الغربية قديمها وحديثها موضوعا للبحث منذ فترة السبعينيات، أي منذ ظهور أطروحته (التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس) وهي في حقيقة الأمر مشروع قراءة، ويمكن تمييز المراحل النقدية لصمود في اثنتين

أ-مرحلة القراءة النقدية: ومنطلقها هو أطروحته المذكورة آنفا والتي حاول فيها إبراز المكون الحجاجي في البلاغة العربية و الذي، يبدأ حسبه بالفترة التي يسميها " الحدث الجاحظي"، حيث يرى أنه (الجاحظ) " كان وراء إرساء بلاغة للبيان تعتمد الحجاج و الجدل المنطقي بدلا من القتل و العراك، وتعطى لأول مرة في تاريخ النقد العربي مكانة للحدث الكلامي من جهة و للمتكلم من جهة ثانية بوصفه المبدع للخطاب"⁹⁷ إقرارا منه بعدم سهولة العملية الإبداعية و التأليفية فهي، تتضمن إلى جانب المعايير المعرفية عوامل أخرى، مقاميه واجتماعية ونفسية. لخص حمادي صمود أهم مشاغل التفكير البلاغي حتى القرن السادس في ثلاثة أقسام كبرى، هي المفاهيم و المنهج و الإجراء.

أ-1-المفاهيم: و"عني بالمفهوم جملة المصطلحات التي تمثل قمة الاستخلاص النظري المتمخض عن تحسس العلم ماهيته وسعي القائمين عليه إلى إيجاد أدوات عمل تختزن على اختصارها، أدق أبعادها الأصولية"⁹⁸.

ومن أبرز هذه المفاهيم و أهمها، زوج (الحقيقة / المجاز) الذي يعتبره الباحث " حيز الزاوية في علم يفترض سلفا أن موضوعه يقوم على تجاوز الأنماط المعروفة في استعمال اللغة و يتبع طرائق غير مألوفة في توظيفها الدلالي"⁹⁹.

كما يرى أن اهتمام النقاد العرب القدامى بالمجاز كان وراء بنائهم لعلم الدلالات بطريقة متطورة وبطريقة عجيبة في نطاق دراستهم لعلم المعاني " عندما تكلموا عن مقاييس العمل الأدبي التي تدخل في إطار المجاز، وعن الدوافع الخطابية في العدول عن الحقيقة إلى

⁹⁷ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 272.

⁹⁸ - حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره الى القرن السادس، منشورات كلية الآداب، منوبة ط 2،

ص 39 .

⁹⁹ - م، ن، ص 39.

المجاز، ومن أهم هذه الدوافع، أداء الدور الذي تعجز الحقيقة عن إصابته¹⁰⁰ في حين أن ثنائية الفصاحة و البلاغة

"تسمح بتحديد ميادين الدراسة الأسلوبية و تكشف عن سبب بلاغة النص وجودته في رأيهم¹⁰¹"

وأما القسم الثاني وهو المتعلق بالمنهج، أي الأسس والطرائق المعتمدة في تحليل الكلام من الوجهة البلاغية، والوقوف على أسباب تلك البلاغة وأسرارها¹⁰²

ويلاحظ ههنا اختلاف رؤى المدارس النقدية، فهناك "المدرسة الكلامية المهمة بالمسائل المنطقية الفلسفية ومن أبرز أعلامها الجرجاني وابن وهب، وهناك المدرسة الأدبية التي رجحت الأسلوب و الخصائص الذوقية الفنية على الجوانب المنطقية الفلسفية¹⁰³ .

وقد كان لهؤلاء عظيم الأثر في تحديد معالم النظرية البلاغية القديمة من خلال تصورهم لمفهوم النظم الذي حظي بكثير من العناية من قبل عديد النقاد، وإن كان تأصيله يعود لعبد القاهر الجرجاني، الذي " أقام تصوره للنظم على أسس لغوية متطورة، قوامها التمييز بين اللغة و الكلام على اعتبار أن الكلام هو الإنجاز الفردي الاختياري الأسلوبي من المدونة اللغوية التي تقوم في أساسها على التوازن¹⁰⁴ و على هذا التصور يحتل الاعتبار بين الدال و المدلول فيها مكانة، إن النظم عند الجرجاني ليس مجرد تنسيق للألفاظ بل هو " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيع عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل مجال و فروقه¹⁰⁵"

¹⁰⁰ - ينظر: محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 273.

¹⁰¹ - حمادي صمود، التفكير البلاغي، ص 433.

¹⁰² - م، ن، ص 393.

¹⁰³ - ينظر: محمد الأمين، م س، ص 274.

¹⁰⁴ - م، ن، ص 274

¹⁰⁵ - عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة، ص 569.

وتجدر الإشارة إلى أن النحو الذي يقصده الجرجاني، ليس ضبط أواخر الكلام فحسب إنما هو مفهوم يحمل شحنة دلالية فنية أسلوبية، حيث يرى بعض الدارسين المحدثين ومنهم أحمد المتوكل " أن فكرة الجرجاني في النظم بين مستويين أحدهما عميق غير منطوق مشتمل على المعاني الدلالية، و الثاني سطحي منطوق يتم نظم الخطاب فيه على مرحلتين، الأولى تستبدل فيها المعاني العميقة بالألفاظ القاموس، و الثانية تعلق فيها هذه الألفاظ بعضها ببعض حسب قواعد التركيب "5، بحيث تكون البلاغة مع الجرجاني قد دخلت مرحلة جديدة، فالقيمة الأدبية لم تعد مرتبطة بنجاعة النص و تأثيره المباشر في منقلبه لحسن لفظه ووضوح معناه وقربه من الأفهام بل أصبحت خصوصيات في بناء المعاني تدرك بالعقل و التدبر و التأمل لا بأثر الألفاظ على الأسماع "

بمعنى أن عملية فتح النص تتوقف على كفاءة القارئ " وبهذا يضاف الى آراء الجرجاني الرائدة اهتمامه المبكر بدور القارئ¹⁰⁶

وأما القسم الثالث في التفكير البلاغي فتناول فيه المقاييس التطبيقية التي حددت بها بلاغة النص وجودته من جهة الشكل و المضمون، ويندرج في هذا الإطار ما للصور الفنية من دور في المقاييس فعناصر الصورة من تشبيه واستعارة تلعب دورا كبيرا في وصف بلاغة النص، وقياس درجة الإجابة و الإمتاع فيه .

في هذه المرحلة القرائية الأولى لحمادي صمود، "كان هذا الأخير قدم دراسات نظرية وأخرى تطبيقية، مثل الوجه و القفا في تلازم التراث و الحداثة، ودراسات في الشعرية، الشبابي نموذجا 1988 وكتابه المشترك مع بعض الزملاء النظريات اللسانية الشعرية من خلال النصوص 1988 وفي نظرية الأدب عند العرب 1995 وهي بحوث ودراسات تدور في معظمها حول قضايا أدبية و لسانية ونقدية و تراثية "¹⁰⁷، ولكنه كان أكثر ميلا الى البحوث في مجال الحجاج ابتداء من منتصف السبعينات وهي المرحلة التي لا تزال متواصلة مرحلة الاهتمام بالحجاج . ينطلق صمود في هذه المرحلة من اعتباره بلاغة الحجاج " أدق مواضيع الدرس البلاغي اليوم و أكثرها أهمية بالنسبة الينا "¹⁰⁸ لأنها "أهم

¹⁰⁶ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 275.

¹⁰⁷ - م، ن، ص 275.

¹⁰⁸ - حمادي صمود، في تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج للنشر و التوزيع ط 1999، ص 8.

مظهر تتجلى فيه فاصية التداخل المعرفي *interdisciplinarité* لأن بلاغة الحجاج تستوعب جميع العناصر المجاورة و التي تساعد في فهم الخطاب و لكون الحجاج " علاقة بين طرفين أو عدة أطرف تتأسس على اللغة و الخطاب يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا"¹⁰⁹، و أما العوامل المساعد على تحقيق هذه الغايات، فهي متعددة، منها ما هو متعلق بالمتكلم ومنها ما هو متعلق بالمخاطب ومنها الخاص بالمقام ومنها ما هو الغالب و الأعم، ما يأتي من اللغة ذاتها، لأن الحدود بين اللغة و الفكر غير قائمة ولذا كانت اللغة تمد المتكلم الحاذق بالأساليب الكفيلة بزحزحة المخاطب من موقفه، ولذا كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب ثلاثة و هي :

البصر بالحجة، والمقصود بها حسن الاختيار والنقاط المناسبة بين الحجة و السياق في صورتها المثلى حتى يسدا المتكلم السبيل على السامع فلا تجد منفذا إلى استضعاف الحجة أو الخروج عن دائرة فعلها. وأما القسم الثاني فهو تركيب الأقسام، أي ترتيب الحجج إلى أختارها المتكلم بحيث يضع كل واحدة في مكانها المناسب بحيث يمنحها الفاعلية فللمقدمة بناؤها الحجاجي، و للمتوسط كذلك لغته و حججه، وكل ذلك يصب في الخاتمة التي ينبغي أن تخلص كل ما يسبق في لغة قوية متلاحقة مختصرة تدفع السامع إلى إنجاز مضامين الخطاب أو الوقوف موقف إيجابيا منها على الأقل وأما القسم الثالث فهو العبارة ، حيث يتبع اختيار الحجج وترتيبها اختيار الأسلوب الأمثل لحمل تلك المضامين الخطاب أو الوقوف موقف إيجابيا منها على الأقل وأما القسم الثالث فهو العبارة حيث يتبع اختيار الحجج وترتيبها ، اختيار الأسلوب الأمثل لحمل تلك المضامين وتوصليها في أتم صورة "فلا عجب أن يلقي هذا القسم أهمية كبرى في تاريخ البلاغة على الحساب أقسام أخرى ما ساعده في فترة معينة على تماهي الحدود بين الخطابة و الأدب"¹¹⁰.

كما يعتقد صمود أن الخطابة اليونانية من حيث نشأتها و الحاجة إليها وكذا التغيرات التي لحقت بها، تختلف بصفة جذرية عن الظروف التي نشأت فيها البلاغة العربية،

¹⁰⁹ - حمادي صمود، في تجليات الخطاب البلاغي، ص 65.

¹¹⁰ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 277.

فالخطاب اليونانية في نظر أرسطو، تقع في منطقة وسط بين الجدلي والشعري، أي أن مجال تكونها مبنية على الحجاج القائم والترجيح من بين الآراء المتعددة التي يشجع فضاؤها على تواردها، فيكون الموقف متوصلا بين الآراء والأطروحات والتي تظهر بين حين وآخر، في حين أن البلاغة العربية "ظهرت في أحضان الشعر"¹¹¹ وتقوم في الشعر مبني على إيجاده القول والتصوير وحسن الإيقاع بما يجلب الأسماع ويغرب السامعين. مأتى الإعجاز، إرجاعه إلى "الشكل و هيئة التصاريف الكلام، ولم يدر بخلدهم أن يأتي إعجاز القول أيضا من الحجج التي يبينها والسياسة التي ينتهجها للتظافر مع الشكل والهيئة فيبلغ النص من سامعه قصيدة"¹¹² ويستغرب أيضا عند تطرقه إلى البيان والتبيين باعتباره من أعظم النصوص المؤسسة للبلاغة العربية والذي كتبه الجاحظ من منطق حجاجي مناظراتي يهدف إقامة بلاغة للحجاج، فرضتها ظروف العصر المتمثلة في الصدعات الذهبية والفكرية فيرى الباحث أن الجاحظ يهتم بأطراف العملية الخطابية من متكلم و سامع ونص، ويجده يذكر وظائف الخطابة ومنها "الاحتجاج على أرباب النحل" و "البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة" لأن " سياسة البلاغة أشد من البلاغة وعلى الخطيب أن يعرف كيف يضطر الخصوم بالحجة ويطبقهم بها "¹¹³.

لكن الغريب في ذلك أنه " لم يبق من هذا الفكر المؤلف بين رافدين كبيرين في دراسة الكلام هما الرافد الخطابي والرافد الشعري ..إلا المقاييس المتعلقة ببلاغة النص من جهة ما فيه من حلية و زينة وشكل "¹¹⁴، كما يتطرق، صمود إلى الجرجاني، فيذكر أنه تميز بنزعتة الجدلية في دفاعه عن الأشاعرة، والذي كان يمكن لكتابه دلائل الإعجاز أن يصبح فرصة الثقافة الإسلامية لدراسة الخطاب في أبعاده الاستدلالية المنطقية، لكنه لم يتجاوز تلخيص الأدلة الدالة على الإعجاز القرآني ومحاولة التوفيق بينها في إطار نظريته في النظم .

¹¹¹ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 277.

¹¹² - م، ن، ص ن.

¹¹³ - حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 112.

¹¹⁴ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، م، س، ص 278.

وبمرور الزمن صارت البلاغة العربية صناعة للزينة والتباهي والزخرفة اللفظية وهكذا ستعيش البلاغة العربية طيلة تاريخها باعتبارها احتفاءً بالشكل وتغيباً له في الوقت نفسه، اهتماماً بالصياغة واللغة وحرصاً شديداً على وضوح المعنى¹¹⁵

"ولعل السبب المنهجي الذي جلب الباحث إلى هذا التمييز بين البلاغة العربية و مفهوم الخطابة الأرسطية، وهو الخوف من الوقوع في الأخطاء القرائية التي وقع فيها بعض الدارسين المحدثين عند دراسة العلاقة بين البلاغة و الأسلوبية حيث رأوا أن التحول الذي طرأ على المباحث اللغوية منذ أوائل القرن العشرين أدى بالبعض الى استخلاص علم جديد منبثق عن اللسانيات سموه الأسلوبية"¹¹⁶، وهنا يسجل الباحث استغرابه أيضاً من كون "معظم النقاد قد اقتصح بأنها العلم المؤهل ليحل محل المباحث البلاغية التي يحتضها علم الخطابة الميتة"¹¹⁷. وعليه غدت الأسلوبية في نظر هذه الدراسات نقطة تقاطع الأدب و اللسانيات و الخطابة، ولعل ما تحدى هذا الالتباس اهتمام هذا العلم بالقسم الأهم من أقسام الخطابة الذي هو العبارة فكان ذلك مدعاة إلى اعتبار الأسلوبية و الخطابة حقلين متطابقين أصنف إلى ذلك أن ما سجل من المحاولات التي تطمح إلى إعادة قراءة البلاغة الأرسطية تحت عنوان الخطابة الجديدة، قد اهتمت بالأساليب والآليات الكفيلة بإقناع المخاطبين ودفعهم إلى تغيير مواقعهم بما يخدم أطروحات النص، وهذه المحاولات هي الأخرى بعيدة في توجهاتها البحثية عن المشروع الأسلوبي و يتساءل صمود عن السبب الذي لأجله اعتبرت الأسلوبية خطابة جديدة معتبرا أن الإجابة عن هذا السؤال صعبة لأنها "تتطلب مراجعة التطورات التي طرأت على البلاغة الأرسطية من جهدها إلى اليوم، ثم النظر من جهة ثانية فيها طراً على السياق العام من تغيرات وعوامل أدت إلى بعث البلاغة من جديد"¹¹⁸

فهو يرى أنّ الخطابة الأرسطية قد انحصرت منذ وقت مبكر "حيث تخلصت من أقسامها المتعلقة بالمشافهة كتمثيل القول والذاكرة ثم امتد الانحسار ليشمل بعض الأجناس

¹¹⁵ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص278.

¹¹⁶ - م، ن، ص278

¹¹⁷ - م، ن، ص ن.

¹¹⁸ - م، ن، ص ن.

الخطابية الكبرى مثل اختفاء الجنس المشاور *deliberati* عندما انحسرت الديمقراطية اليونانية¹¹⁹. ثم إنَّ حضور البلاغة الشعرية، بشكل بين بعد هذا الانحسار، شجع الخطابة على اقتراض بعض من مقومات البلاغة الشعرية بهدف الوصول إلى المخاطبين وهو الأمر الذي وجه النص الخطابي خاصة والبلاغي بشكل عام إلى فضاء لحشد المحسنات " وفي مرحلة لاحقة تقاسم النحو و الجدل و الخطابة وحدات الدرس اللغوي البلاغي، ولم يبق للخطابة بعد ذلك إلا قسم العبارة"¹²⁰

يقول صمود: " مما يجب الانتباه إليه و التفكير فيه أن فعل التضييق لم يقف عند هذا الحد وإنما تواصل في العصور الحديثة فرأينا الوجوه والمجازات تضبط في عدد محدود من العلاقات و المبادئ و اشتهرت منها ثلاثة هي: علاقة الشبه البانية للاستعارة، وعلاقة المجاورة أو الاردان البانية لنوع من المجاز المرسل وعلاقة التقابل وتبني السخرية والتهمك"¹²¹.

ويشير صمود إلى الدور الكبير الذي صارت تلعبه علاقتا الشبه و الجوار في نظرية الشعر عند جاكسون، وكذا في بروز فكرة البلاغة المهمة، إلا أن هذا العصر، ومع ذلك الدور الكبير، وعلى إثر انفجار الثورة التقنية التواصلية، كان لا بد له من انتقاء سبل ناجحة للتعبير عن ذاته بمختلف تقلباتها و حركيتها، فالتطورات المهمة التي مست جوهر حيات الإنسان حتمت التوسل في بعض هذه التطورات بالآلة البلاغية اللغوية لتحقيق أهداف معينة ومن أهم هذه التطورات " غرس الحاجة حيث لا حاجة، وإغواء الناس بالإقبال على السلعة بما يستحدث فيها من تطورات إما في مظهرها أو في فاعليتها وهي تطورات مفتعلة و لكنها تقدم في صورة مقنعة فدخل العصر في بلاغة الإشهار مما فتح الأبواب أمام عودة الخطابة ورجوع وظيفة التأثير و الإقناع في صيغة لم تعرفها من قبل "¹²²، فصارت هناك " بلاغة ناجحة تتحكم في أذواق الناس، وتوجيه اختياراتهم الشكلية والمضمونية وأصبحت لهذه البلاغة مؤسسات علاقة متخصصة في هذا النوع من الخطاب الإشهاري والموضوعي

¹¹⁹ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 277.

¹²⁰ - م، ن، ص 279.

¹²¹ - حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 131.

¹²² - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، م، س، ص 280.

المعاصر "،¹²³ معتمدة ومتعمدة، في ذلك "أساليب مختلفة تقوم على بلاغة الصورة المرئية المبنية غالبا على فكرة استعارية يشارك المتلقي (المشاهد) في فكها و فهمها ليكون اقتناعه بمضمونها أكبر"¹²⁴.

فعدت، مع ذلك، الخصائص الخطابية بفضل أشكال الرعاية، خاصة منها السياسية والاقتصادية، يقول صمود: " إن أهم آلية خطابية و بلاغية اليوم هي الثورة الاتصالية والمعلوماتية و ليست العولمة في أبعادها الاقتصادية و الثقافية إلا وجها من الوجوه البارزة للخطابة الحديثة حيث يقع تمرير الأفكار والتصورات والأخيلة التي نريد تمريرها على حساب ما هو قائم في ذهن المتلقي والغاية هي إبعاده عما كان يعمر ذهنه و إحلال ما نريد نحن مكانه بتحريك الإعجاب بما نعرض عليه أو نخلق الصدمة أو الفتنة أو الإقناع"¹²⁵.

لم يكن لهذه الطفرة البلاغية أن تتحقق " لولا البنية المرنة للبلاغة من جهة وفضل الخاصية الاحتمالية الخلافية، التي تعد أهم مميزاتها والتي منحت الخطاب البلاغي انفتاحا على كل العلوم المجاورة و كذا على التأويل وإعادة الإنتاج من جهة ثانية"¹²⁶

استنادا إلى كون الخاصية الاحتمالية من أهم عناصر الحجاج، يتساءل الباحث عن إمكانية كون البلاغة حجاجا في جوهرها؟ وهو يجيب بنعم حين يذكرنا بأن البلاغة العربية " ظلت لفترة طويلة مختزلة في باب العبارة، والأسلوب ولم تعمل على توسيع وتحليل المحاولات التي تناولت الحجة والرهان منذ الجاحظ حتى الجرجاني، لكنه يرى أن إعادة قراءة هذا التراث كفيلة بإعادة ترتيب عناصر النظرية البلاغية العربية بطريقة مختلفة عن السابق بحيث يبرز تصور واضح لبلاغة الشعر وآخر لبلاغة الحجاج لان البلاغة العربية في عصر التدوين كانت تستجيب لحاجات معينة نجمت عن سياقات فكرية ومذهبية واجتماعية بالغة الخصوصية"¹²⁷، وهذا ما يجعل تعدد القراءات أمرا مشروعاً من زاوية نظر مختلفة لا تركز على الأسلوب والعبارة فحسب " وإنما على تلك الجوانب التي ظلت

¹²³ - ينظر: محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 280-281.

¹²⁴ - ينظر: م، ن، ص 281.

¹²⁵ - حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 134.

¹²⁶ - ينظر: محمد الأمين محمد سالم الطلبة، م، س، ص 281.

¹²⁷ - م، ن، ص 282.

مسنية وذلك من خلال توظيف نتائج الدراسات اللسانية التداولية و بلاغة الخطاب التي تهتم بالمخاطب وبآليات تحريكه والتأثير عليه¹²⁸، في تحليله لنص تراثي لأبي حيان التوحيدي يرى الدكتور صمود، في إطار ما سبق ذكره "كثرة المصطلحات المستعملة الجارية اليوم في الدراسات الحجاجية و انتباهه إلى مناهج الاحتجاج وسبله"¹²⁹، مثل مفهوم " الاستدراج" في هذا النص (نص أبي حيان) بوصفه دالا على " المخادعة" التي أصبحت تعد "من لغة وصف بلاغة الخطاب وما يقوم فيها من صنوف الحيل للإيقاع بالمخاطب"¹³⁰

فالعلمية الحجاجية شبيهة بالصراع، ولذا تغلب على مفاهيمها تعابير القوة، الحيل الخديعة الاختراق، التفكيك، الدعم، الاستدراج، التضليل، الانتصار، الهزيمة الإذعان والتسليم وغيرها و يعتبر مصطلحا الإذعان والتسليم من أهم المصطلحات التي تنتظر في جدوى الخطاب و قدرته على التأثير في الجمهور في سياق معين"، كما أن للجمهور والسياق دور "أساسي في تحديد نوع الخطاب ونوع المسائل التي يستدعيها لتحقيق وظيفته لذا كانت قوانين هذه البلاغة متحولة ومتغيرة بتغير أطراف الخطاب وسياق تلفظه والمقاصد التي يراد بلوغها" من خلال دراسة حمادي صمود لنص ابي حيان التوحيدي المأخوذ من المثل السائر، يلاحظ " بأنه يخرج عن إطار التصور الذي ذكر أن البلاغة العربية تردت فيه لتصبح البلاغة فيه بلاغة خطاب لا بلاغة جملة أو كلمة وذلك من خلال اهتمامه بخفايا الخطة البانية لأقضية الحجاج"¹³¹، و عليه فالكاتب لا يكون كاتباً إلا حين يستطيع التمكن من ناصية اللغة و التصرف فيها بالدرجة التي تمكنه من التأثير في مخاطبيه .

كما يلاحظ استعمال التوحيدي، لفظ " الاحتجاج " منبها الى منهج التقسيم المتبع إمعانا في المخادعة حتى يستطيع لمبدع إخراج القول على غير الاعتقاد لغاية في نفس المتكلم هي " تنويم" المخاطب و تسكين هواجسه حتى يطمئن و تغفو شكوكه و يسترخي تيقظه فيستسلم إذا يستسلم"¹³². و يشير منبها إلى أن من يفطن إلى الخدع النصية ليس

128- محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 282.

129- حمادي صمود، من تجليات الخطاب البلاغي، ص 95.

130- م، ن، ص ن.

131- م، ن، ص ن.

132- ينظر: حمادي صمود، م، س، ص 93.

إلا المتمدرسون بعد الروبة والتدقيق أي أن أبلغ الخطابات تأثيرا هي تلك التي تبدو في الظاهر بريئة مؤسسة على سلامة النية بينما هي في حقيقة الأمر تمد شرك سھولتها الظاهرة لتصطاد المخاطب وتجعله يقتنع بمضمونها، ولكن الحجاج في هذا النص وعلى الرغم من ذلك كله، يظل وفيا لواقعه الذي نشأ فيه متناسبا معه، وذلك لا يمكن وضعه في مصاف الدراسات الحجاجية المعاصرة لأن "الحجاج اليوم يريد أن يقنع بأهمية لا من جهة أنه منهج لدراسة نصوص الخلافات والمناظرات، فهذه مواطن مهيأة لتنتج هذه المخاطبات وإنما من جهة أنه يوجد الحجاج في صلب اللغة، وفي العادي من الكلام مما يدور بين الناس في مبادلاتهم اليومية"¹³³ وينتهي النص إلى أن بلاغة الخطاب تتحقق بما فيه من أبنية حجاجية وأساليب للتأثير على المخاطب، وهو ما يعتبره صمود كفيلا باعتبار البلاغة في مفهومها العام حجاجا، دون إھما لخصائص أخرى متعلقة بنية الحجاج .

يلاحظ أن صمود، باعتباره من أبرز الباحثين في البلاغة المعاصرة قد اهتم اهتماما بالغا بآليات هذا الحقل، بغية قراءة البلاغة العربية القديمة أملا في استخراج أهم مقولاتها التي يمكن أن يكون لها إسهام في الدراسات النقدية المعاصرة على المستويين النظري والتطبيقي، كما يلاحظ أيضا أنه يحاول دراسة راهن ومستقبل الخطاب الأدبي الذي يشهد تغيرات جمة في ظل ثورة التواصل وتقنيات الصورة فهذه الثورة كفيلا تجلت مفارقات على مستوى الأدب والفكر والخطاب والحراك الاجتماعي والحضاري، وتواكب مختلف الجانب المتعلقة بالفرد، ومن ثمَّ فهي تنتشر بوتيرة أسرع من وتيرة البنيتين العقلية والاجتماعية للإنسان "

فالبلاغة بصفة عامة والحجاج بصفة خاصة، عند صمود، لا يقفان على دراسة آليات التأثير والتأثر بل تتجاوز ذلك لدراسة التغيرات التي جدت والتي يمكن أن تجد على ثنائية النص والخطاب في علاقاتهما بالواقع والمخاطبين من جهة وعلاقاتهما بالثورة التقنية التواصلية السريعة من جهة ثانية.

¹³³ - محمد الأمين محمد سالم الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 283.

2- بلاغة تقاطع التخيل و التداول (محمد العمري)

يعتبر الناقد المغربي محمد العمري من أكثر النقاد، العرب عموماً والمغاربة خصوصاً اهتماماً بالدرس البلاغي العربي في علاقته بمستجدات التوجهات المعاصرة في النقد، فقد تبنى الرجل مشروعاً علمياً يستهدف تحرير البلاغة العربية من سجن المعيارية التي يرى أنها قضت فيه أحقاباً. ينطلق العمري في مشروعه العلمي من سعيه إلى تعميق الاتصال بالبلاغة العربية و النحو والعروض، عبر مسألة المنجز في التراث النقدي العربي رغبة في استشراف المأمول ولتجسيد هذا المشروع وضع استراتيجية منهجية يتمثل أولها في العمل على " تحيين البلاغة العربية وإعادة التأريخ لها وذلك ضمن إطار العناية بالبلاغة العربية القديمة و التأليف فيها "134 مستفيداً من أستاذه الدكتور عزة حسن ملاحظات هامة حول ضرورة الحذر في التعامل مع المقروء وعدم التسليم بالأراء المختلفة دون دراسة متأنية وذلك ما حتم عليه البحث عن الأدوات المنهجية التي يخوض بها غمار بحوثه. انكب العمري بالموازاة مع ما سبق على القراءة لاستيعاب المرجعية اللسانية و الفلسفية الكامنة وراء الكتاب وهكذا فتح العمري جبهتين . جبهة لبحث في التراث بالوسائل المتاحة من أجل التميز في دراسته الجامعية وجبهة الاطلاع على المناهج الحديثة ومع صعوبة الأمر لم يكن أي تعارض بين الجبهتين، بل كانا سيتقاطعان ويتكاملان فيما سيأتي من مراحل.

المسار الأول : في دراساته المتعلقة بإعادة قراءة التراث أقدم محمد العمري على تحقيق كتاب المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل مع بحث مواكب في ظروف تأليف هذا الكتاب وثقافة مؤلفه، فكان من ثمره هذا الجهد، تعميق الاتصال بالبلاغة العربية و العروض و النحو.

المسار الثاني : وهو مسار البحث عن الأدوات المنهجية الذي قاد الباحث إلى اقتحام عالم الترجمة، و كان من ثمرته الأولى ترجمة بنية اللغة الشعرية لجون كوهن بالاشتراك مع زميله محمد الوالي، و يعزى اهتمامه بهذا الكتاب دون سواه لاعتقاده أن هذا الكتاب قد بسط سيطرته على كل المحاولات التجديدية في قراءة الشعر من وجهة نظر بنيوية لسانية في العالم الغربي قبل العربي . ولعل أبرز ما اعترض ترجمته هذه من عوائق معضلة توحيد

134- ينظر علامات ج 67 مج 17 نوفمبر 2008.

المصطلحات لأن تضاربها كان سيؤدي إلى عسر الفهم و بالتالي إلى سوء التفاهم بين الدارسين، و نضرب مثالا لذلك بما أحدثه مصطلح الانزياح من تشويش لدى المتلق و حتى المترجمين، يقول يوسف و غليسي " قد نقل هذا المفهوم إلى العربية بما لا يقل عن أربعين مصطلحا، يمكن أن نجد شفيعا لدى الغربيين أنفسهم قد عبروا عن هذا المفهوم الواسع بمصطلحات كثيرة يقارب عددها العشرين"¹³⁵ لقد دامت عملية الترجمة أكثر من سنتين لأنها كانت مصاحبة بعملية واسعة من القراءة بغية استيعاب المرجعية اللسانية و الفكرية الكامنة وراء الكتاب، إلى جانب ضبط المعطيات العربية المقابلة مفهوما و مصطلحا في تلك الظروف سعى العمري إلى ربط جسور الوثام الفكري بين فئتين من الباحثين في الجامعة المغربية، فئة تهتم بالتراث و تدير ظهرها للمناهج الحديثة، و فئة ثانية، تنادي بالحدثة و ترفع شعارها، وتتخذ من التراث مواقف متضاربة تنتقل من التتكر إلى الإهمال عبر الملامسة من بعيد، و قد ساعد على تعميق هذه الفوارق تعدد لغات البحث، إلى جانب قلة الدعم المرصود للغة العربية في مقابل الآفاق المفتوحة للغات الأخرى .

أنشأ العمري، رفقة بعض زملائه، مجلة دراسات أدبية ولسانية ثم مجلة دراسات سيميائية، لتكون منبرا للحوار في مجال الدراسات الأدبية و اللسانية، فكان من ثمرات هذا الجهد، إقبال الباحثين من شعب اللغات الأجنبية على الكتابة باللغة العربية لأول مرة، ثم تلتها ندوات مختلفة نشرت موادها في المجالات الأكاديمية آنذاك وبهذا العمل قد أسهم الرجل في ردم الهوة التي يقول إنها مفتعلة بين هاتين الفئتين من الباحثين. في هذا السياق شرع في إعادة قراءة التراث البلاغي العربي في ضوء المعطيات المنهجية الحديثة مستعينا بالأبحاث الغربية في هذا المجال والتي كانت قد لاقت ترحيبا في الثقافة العربية على غرار بنية اللغة الشعرية لكوهن، المشار إليه سابقا ومشروع هينريش بليث في البلاغة في و الأسلوبية في إدماج البلاغة والأسلوبية في قالب سيميائي عام بإمكانه استثمار مزايا كل منهما .

إنه عمل، كما يقول العمري، ينضوي " ضمن مشروع كبير لبناء بلاغة عامة جديدة تستوعب إنجازات البلاغة القديمة وتستفيد من اجتهادات لأسلوبية الحديثة، محاولة تجاوز

¹³⁵ - علامات ج 64، مجلد 16، فيفري 2008، ص 189.

جوانب النقص فيهما باقتراح نموذج سيميائي يقوم على نظرية الانزياح في التركيب والدلالة و التداول " 136

من أجل تحقيق هذه الغاية لجأ المؤلف الى تقديم المبادئ الأساسية ثم اشارة الى الابعاد التي يمكن أن تأخذها في البحث البلاغي الحديث، ينطلق في هذا العمل " من نموذج التواصل، المرسل والمتلقي والرسالة والسنن "137، فهو حينما تناول البلاغة القديمة بالبحث أرجعها إلى عنصرين جامعين لما سواهما هما التركيب والتداول، وأما الأسلوبيات، فقد صنفها حسب ما ذكر من العناصر الأربعة السابقة بعدها أقام النموذج السيميائي على ثلاثة أسس هي التركيب و التداول والدلالة، متناولاً البلاغة من جهتين جهة التداول التي تهتم بالمقاصد، الفكرية والعاطفية مع علاقة هذه المقاصد بأجناس الخطاب وتكوينه " و الحديث عن هذه العلاقة يقود مباشرة الى الحديث الطابع المعياري للبلاغة القديمة، هذا الطابع الذي تسعى الأسلوبية الحديثة الى تلافيه و اكتساب الوصفية العلمية "138

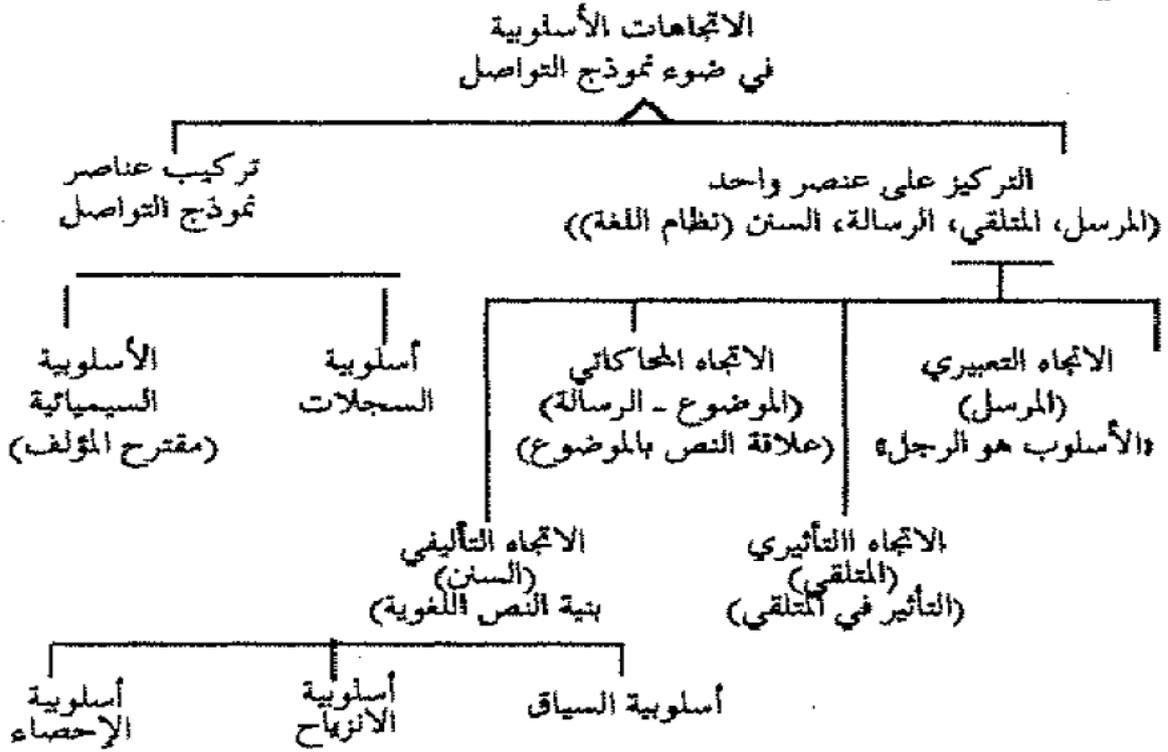
و أما الجهة الثانية، التي تناول البلاغة من خلالها، فهي مسألة بناء النص معتمدا على ما كان يعتبره القدماء أساسا لبناء النص الخطابي ويعني بذلك ايجاد مواد الاحتجاج وترتيبها وصياغتها صياغة جميلة، وترتيبها في الذاكرة ليتم أخيرا إلقاؤها بطريقة تعبيرية " وعلى الرغم من كثرة المفاهيم المصاحبة لكلمة أسلوب، فإن هنري بليث، كما يقول العمري قد صنفها بناء على نموج التواصل المذكور، في أربع اتجاهات تشعب بدورها الى شعب فرعية نوجزها في الخطاطة التالية " 139 .

136- بليث هنريتش البلاغة و الأسلوبية، ترجمة محمد العمري، ص.11

137- م، ن، ص 12.

138- م، ن، ص 12.

139- م، ن، ص 13.

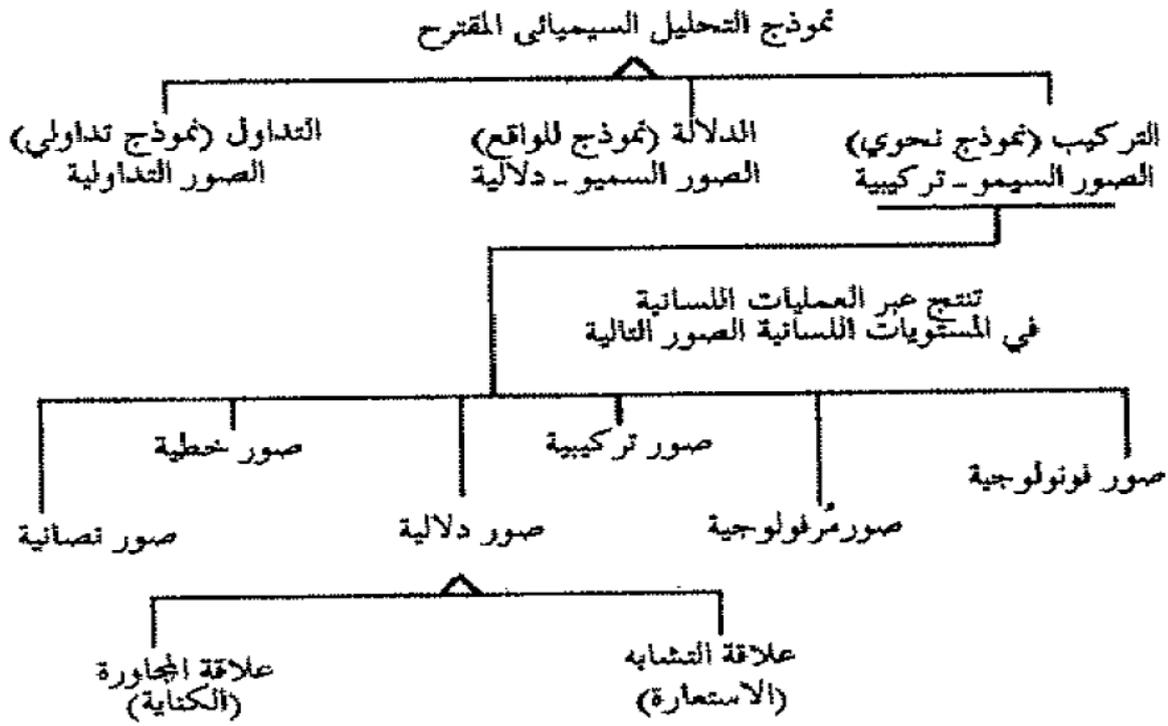


بعد عملية جرد لهذه الاتجاهات، ينتقدها إجمالاً يكون كل منهما ليست إلا زاوية نظر إلى الموضوع ويسجل أن الكفيل ببناء "أسلوبية تستوعب اجتهادات القدماء والمحدثين في مستويي، البنية الداخلية للنص وأبعاده التداولية"¹⁴⁰. هو بناء سيميائي بتهم بكل عناصر النموذج التواصلية ودمج بعضها في بعض .

وهذا ما جعله يسلمهم نموذج شارل مورس مميزاً بين انزياح في التركيب (العلاقة بين الدلائل) وانزياح في التداول (العلاقة بين الدليل والمرسل والمتلقي) وانزياح في الدلالي (العلاقة بين الدليل و الواقع)"¹⁴¹. مع التنبيه إلى أن لكل من هذه المستويات صورته الانزياحية، غير أن الملاحظ أن المؤلف (هينريش بليث استهلك كل جهده في تفصيل أوجه الانزياح في التركيب (النموذج السيمو تركيبية) .

¹⁴⁰ - بليث هنريش البلاغة و الأسلوبية، ترجمة محمد العمري، ص 14

¹⁴¹ - م، ن، ص ن.



تكمن المزية الأساسية للنموذج الذي يقدمه المؤلف في كونه:

- 1- يستوعب جميع الصور البلاغية المعروفة.
- 2- يتيح فرصة الكشف عن صور جديدة
- 3- كما أن بعده التداولي يبعده عن انتقادات عدم الملائمة، وعدم الاستيعاب الذين أخذوا على الشعرية البنيوية¹⁴²

فكان من منجزات هذا التماس مع ثقافة الآخر كتاب في بلاغة الخطاب الإقناعي، الذي كان الهدف منه التنبيه إلى أهمية البعد الإقناعي في البلاغة العربية، هذا البعد الذي كان حاضرا عند الجاحظ ثم نسي مع هيمنة صياغة السكاكي للبلاغة العربية، يقول العمري: "اعتاد الدارسون العرب المحدثون وتبعهم في ذلك المدرسون في الثانويات والجامعات معاملة النص الخطابي الإقناعي نفس معاملتهم للنص الشعري... وهذا يجافي الروح المنهجية التي تقتضي أخذ طبيعة الموضوع بعين الاعتبار عند تحديد منهج تناوله"¹⁴³.

¹⁴² - بليث هنريش البلاغة و الأسلوبية، ترجمة محمد العمري، ص 15.

¹⁴³ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 9.

مع أن أرسطو، كان قد تنبه إلى ذلك ووضع كتابا مستقلا في كل فن فألف "فن الشعر" والخطابة وتبعه في تصوره هذا الفلاسفة المسلمون، ففرقوا بين طبيعة الشعر الذي يهدف إلى التخيل، و طبيعة الخطابة الهادفة إلى التصديق حسب الأحوال والاحتمال ولما تطرق دارسو القرآن إلى دراسة طبيعة الخطابة تعارضت آراؤهم مع آراء الفلاسفة المتأثرين بآراء أرسطو فوقع سوء فهم بينهم في تفسير النص القرآني .

"وأما المشتغلون بالبلاغة فمنهم من تنبه إلى الفرق بين الشعرية والخطابة مثل قدامة وابن رشيق وحازم، وإسحاق بن وهب ومنهم من لم يهتم بالتمييز إلا بشكل جزئي مثل ابن سنان الخفاجي وأكثر المشتغلين بالإعجاز " ¹⁴⁴

ومع أن دراسة الخطابة قد صارت أولوية في العصر الحديث مستعينة بالأبحاث الاجتماعية و النفسية إلا أن الدارسين المحدثين، كما يرى العمري، قد انقطعوا عن دراسة القديم ولم يواكبوا الحديث .

" أما اهتمام الفلاسفة الغربيين المحدثين ببلاغة الخطابة فراجع إلى قناعتهم بالدور الخطير الذي عادت تلعبه في توجيه الرأي وبلورة الفكر المعاصر " ¹⁴⁵، فنظرا إلى الدور الذي تلعبه بلاغة الخطابة في التأثير على الرأي العام الوطني و الدولي.

" بادرت الولايات المتحدة منذ عقود إلى إعادة الاعتبار إلى هذه البلاغة، ومنذ سنوات كان يعمل فيها، حسب بيرلمان، أكثر من خمسة آلاف أستاذ؛ كما أنشئت هناك مجلة بعنوان فلسفة وبلاغة ولا تحتل الصور البلاغية (أو الأسلوب) سوى حيز ضيق جدا منها حسب عبارة بيرلمان " ¹⁴⁶ بالنظر إلى هذه الأهمية للخطابة سعى محمد العمري إلى دراسة الخطابة في القرن الأول نموذجا مخضعا للنصوص (الخطب) المدروسة إلى ريطورية أرسطو، من حيث التصنيف (مشوري مشاجري، ومثبتي) ومن حيث بناء الخطبة من جهة البرهنة والأسلوب وتنظيم القول، مراعيًا خصوصية الثقافة الإسلامية في تصنيفه للخطابة من حيث موضوعاتها والسبب أن المجتمع الإسلامي الأول لا يفرق "بين ما هو

¹⁴⁴ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 10.

¹⁴⁵ - م، ن، ص 9.

¹⁴⁶ - م، ن، ص 10.

سياسي وما هو ديني واجتماعي لطبيعة الإسلام الذي لا يفرق بين الدين والدولة، ثم إن العلاقات الاجتماعية في غالب الأحيان علاقات دينية¹⁴⁷ بالموازاة مع دراسة محمد العمري لبلاغة الخطاب لإقناعي في البلاغة العربية، دخل في مشروع إعادة صياغة البلاغة العربية انطلاقاً من تصور لساني بنائي يراعي البعد التاريخي مبتدئاً بالمستوى الصوتي

الذي كان يعاني من الإهمال رغم كونه في نظر الباحث، يفسر 75 بالمئة من جمالية القصيدة العربية القديمة، فألف كتاب تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية، وكتاب الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية و الممارسات الشعرية. في الكتاب الأول تناول مدى غنى التراث البلاغي العربي وقدرته على توفير المادة اللسانية الواصفة للنص الشعري، فالمادة الصوتية الإيقاعية ذات نسق دال يفسر فاعليتها ويجعلها إجرائية، وذلك من خلال مقولات الكثافة، و الفضاء، والتفاعل الصوتي الدلالي، إن هذا البحث يدعو إلى إعادة النظر في الأحكام الانطباعية القاضية بمعيارية البلاغة القديمة وعجزها عن المساهمة الوصفية الدقيقة، كما يدعو المحافظين إلى جدوى توظيف المناهج الحديثة في قراءة تراث العربي وأما الكتاب الثاني فيعطي خطة لقراءة التراث الشعري العربي في إطار النظرية المبسطة في الكتاب الأول، إن مساهمته في كتابة تاريخ الأشكال الأدبية يقع بين البلاغة وتاريخ الأدب .

وأما الكتاب الثاني والصادر في شكله النهائي سنة 2001، والذي صدرت مكوناته ضمن قسمين منفصلين " ضمن منشورات مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية بين عامي 1990-1991 والعنوان الكامل للكتاب هو الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية نحو كتابة تاريخ جديد للبلاغة والشعر"¹⁴⁸ و هو كتاب يدخل في إطار قراءة جديدة لتاريخ الفكر البلاغي العربي، يروم تحقيق هدف طموح انطلاقاً من رصد دور الأداء الصوتي المتمثل في اللغة والموسيقى والقافية والمحسنات الصوتية وغيرها في تحقيق الدلالة، ينطلق العمري في سعيه إلى تحقيق هذه الغاية، مما توصل إليه في دراسته حول

¹⁴⁷ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 35

¹⁴⁸ - ينظر، محمد سالم محمد أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 255.

تحليل البنية الصوتية للخطاب الشعري " حيث اتضح له أن دراسة الموازنات الصوتية لا تتم خارج أسئلة العروض الذي هو فضاؤها؛ حيث يجد الدارس نفسه في موقع القارئ المحاور لمؤشرات النص المتكهن لمقاصد المؤلف ويتم ذلك كله في إطار حوار بين الصوت والدلالة، بين الانسجام الصوتي والاختلاف الدلالي من جهة وبين التفصل الدلالي والتقطيع النظمي من جهة ثانية، فالتوازن هو في الأساس اتفاق الأصوات واختلاف الدلالة

149»

يلاحظ في بحوث العمري، بصفة عامة، أن الانشغال الذي كان يحركه محكوم بهاجسين، أما الأول: هو التأكيد على وجود بلاغتين متميزتين في تاريخ النقد العربي الأولى بلاغة نثرية خطابية، والثانية بلاغة شعرية، وأما الثاني: فهو الثراء النقدي التأويلي الناتج عن تفاعل و تداخل خصائص ومفاهيم البلاغتين .

ولا يخفي محمد العمري استياءه مما لحق البلاغة الشعرية من غبن، حيث يرى أنها (البلاغة) في المنظور الحديث مقتصرة على تنظيرات السكاكي في مفتاح العلوم، والذي ركز فيه على علم المعاني وما يتصل به من خواص التراكيب الكلامية المحددة لمعايير الخطأ والصواب، ويدخل علم المعاني في البيان بمعناه الشامل الذي يضبط قوانين الخطاب الشفوي عامة ويعد الجاحظ أبرز منظريه مع أن الموازنات الصوتية التي تتدرج في إطار البديع و التي تعد العمود الفقري لجماليات الخطاب الشعري، ذات أهمية بالغة، إلا أنها احتلت موقعا هامشيا من هذا التنظير . لقد ارتبط علم المعاني وعلم البيان بنظرية المعنى التي ولدت في أحضان نظرية الإعجاز القرآني و القرآن هو نص منزه عن شبهة الشعر، فرغب المنظرون القدامى بمقارنته إعجازيا ببلاغة منبثقة من الخطاب الشعري لكنهم " بنوا له بلاغة غير شعرية، إنها بلاغة ملائمة المعاني لمقتضى الحال والمقام بلاغة ترضي النص الخطابي النثري، أكثر مما تتصف الشعري ..فالمصدران الأساسيان لهذا المفهوم للبلاغة هما مصدران يهتمان إما بالنص القرآني أو بالنص النثري الشفوي وشروط تحققه شفويا سواء تعلق بآلة نطق الخطيب أو هيئته أو بالألفاظ وخفتها على اللسان و السمع،

149 - محمد العمري الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، المغرب، إفريقيا الشرق 2001، ص 11.

فالتياران معا يغيبان الشعر في استراتيجيتهما العامة، ويغيبان مكونا من مكوناته الأساسية المميزة له في ممارستها¹⁵⁰

" ولئن كان المصدران الأساسيان لهذه البلاغة مرتبطين باتجاهين فكريين دينيين، حيث ترتبط نظرية المعنى بجهود الأشاعرة في تأسيس نظرية الإعجازو تتصل نظرية الفصاحة الشفوية بجهود المعتزلة في تنظير الخطابة إلا أنهما تلتقيان معا في الاهتمام بالمقام ومراعاة الأحوال أي بالخطاب الإقناعي الذي لا تلعب فيه الموازنات إلا دورا مساعدا بل ثانويا¹⁵¹. في هذا المجال يعجب محمد العمري " بخصوصية البلاغة الشعرية التي يمثلها علم البديع وكذلك بما يسميه تيار البلاغة العامة الذي حاول فيه الداعون إليه الجمع بين بلاغة الخطاب الشفوي (البيان) و بلاغة الخطاب الشعري (البديع) ومن أبرز هؤلاء أبو هلال العسكري في الصناعتين ابن سنان في سر الفصاحة¹⁵²

يرى محمد العمري أن جهود البلاغيين القدامى يمكن حصرها في خمسة مستويات أو اتجاهات هي على الترتيب: البديع ونقد الشعر، البيان وبلاغة الإقناع، البلاغة العامة أو الصناعتان، نظرية المعنى أو بلاغة الإعجاز، نظرية الأدب أو الوظيفة التوازنية، مع التنبيه إلى وجود تداخل واشتراك في المشاغل النقدية بينها "غير أن التيار الأخير (نظرية الأدب) فكان ممثلوه أقرب إلى الفلسفة منهم إلى النقد الأدبي، حيث تناول الطباع النفسية في علاقتها بالإبداع وما تحدثه جماليات الإيقاع من دور في الجذب و الإمتاع¹⁵³

أصول البلاغة العربية و امتداداتها : مع أن العمري كان ينوي أن ينجز " البنية الدلالية " بعد الانتهاء من الموازنات الصوتية، غير أنه رجح أخيرا فكرة التأريخ للبلاغة العربية وذلك بعد تزايد الاهتمام بالتلقي في الثمانينيات على حساب الاهتمام بالبنيات، وظهر أن جمالية التلقى تسعف في فهم البلاغة العربية وإنصافها في الوقت نفسه .

¹⁵⁰ - محمد العمري الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، ص50.

¹⁵¹ - م، ن، ص51.

¹⁵² - محمد سالم أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 257

¹⁵³ - م، ن، ص257.

يسعى العمري من خلال هذا العمل إلى تجسيد هدف طموح هو استقصاء البلاغة العربية إنه تجسيد للمشروع الذي كشفت عنه الموازنات أي تاريخ جديد للبلاغة العربية ومحاولة قراءتها قراءة جديدة لاعتبارات أهمها .

1- " اعتبار عام واقعي وتاريخي "،¹⁵⁴ مفاده قلة الأبحاث الجادة التي تناول التراث البلاغي العربي في علاقته بأدبه و بالآخر .

2- اعتبار قرائي منهاجي، نابع من التغيرات القائمة من حولنا متجلية في تطور آليات الدراسة والتحليل ووعينا باللغة و بالعالم وبشروطنا الوجودية، وهذا ما أدى إلى بروز أسئلة ملحة متعلقة بما سبق، وتتطلب مناهج قرائية جديدة تنطلق من الماضي لا لإعادة تكريسه و إنما لتجديده وجعله منطوقا لكل نهضة مستقبلية يمزج العمري في قراءته هذه " بين المعطيات البنوية وعلم الاجتماع الأدبي ومباحث البلاغة المعاصرة المنجزة، وخاصة ضمن حقل الفلسفة والاجتماع، كما تهتم بآليات التواصل وتقنياته المتغيرة بسرعة كبيرة في عصرنا الراهن...." ¹⁵⁵

هذه التقنيات التي عملت على تغيير موقع الإنسان (المخاطب، المشاهد، السامع، القارئ) وتغير علاقته بمحيطه و بمن حوله، وذلك من خلال إعادة تشكيل الأسس و المعايير التي كانت تقوم عليها تلك العلاقات ¹⁵⁶.

فالباحث يؤمن بقوة التراث البلاغي العربي على الامتداد في الوقت الراهن استنادا الى جدية وعمق الأسئلة التي يطرحها وعلى هذا فهو " محاور يثير الدهشة من جانبيين: من حيث الشمول والعمق ¹⁵⁷؛ الشمول من حيث تعدد المؤثرات وتشعب الأسئلة خاصة ماتعلق منها بمسألة الغرابة المناسبة، فقد ارتبط سؤال الغرابة وما تعلق به من انزياح باللغة الشعرية إبداعا ونقدا و أما السؤال المتعلق بالمناسبة المقامية التداولية فارتبط " بالبحث عن عملية إقناعية خطابية وكذا بملائمة العبارة للمقاصد ضمن نظرية النظم الاعجازية (أو مايمكن أن

¹⁵⁴ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص7.

¹⁵⁵ - محمد سالم أمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 259.

¹⁵⁶ - م، ن، ص ن.

¹⁵⁷ - محمد العمري، م، س، ص29.

ندعوه تداوليه لسانية في مقابل التداولية المنطقية الإقناعية النصية) وارتبط من جهة ثالثة بالبحث عن بلاغة كلاسيكية ذوقية تقوم على الصحة و المناسبة¹⁵⁸ ومن هنا بدأت تتبلور في النقد العربي مبكراً، بلاغتان إحداهما شعرية بديعية و الثانية تداولية بيانية حجاجية

وأما فيما يتصل بمسألة العمق، فيتجلى ذلك في عمق التصورات التي قدمها البلاغيون القدامى على الرغم من اهتمامهم بجانب معين دون جانب آخر في عملية التحليل كالاتهام باللفظ على حساب المعنى أو العكس "فالرجاني توصل، في اعتناؤه بالمعنى على حساب اللفظ في الأسرار، إلى أن الخطاب الشعري مثلاً مبني على المفارقة والانزياح، علاوة على أنه أول قضية الضرورات الشعرية تأويلاً رائعاً حيث ربطها بالمقاصد، في محاولة لإظهار دورها الخطابى"¹⁵⁹

أضف إلى ذلك عمله المميز في التقريب بين هاتين البلاغتين من خلال تصوره للنظم ودور السياق و المقام في تشكيل الخطاب " وهذه البلاغة المقصدية التداولية يوليها السكاكي بالغ الاهتمام جاعلاً أساسها علم المعاني، لأن البديع هو أساس الشعر القائم على الإغراب والانزياح في حين أن التداول و التواصل محكومان بالفهم و الإفهام و السياق و المقام"¹⁶⁰

دون تجاهل تفاوت مقامات الكلام، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهئة يباين مقام التعزية . يتبع العمري مسيرة البلاغة العربية في اهتمامها بالحجاج وفي علاقتها بالنصوص الأرسطية من أجل استكناه أبعادها التداولية وعلاقتها بالنحو و المنطق و النقد . أما الحجاج فيرى أنه أصبح ضرورة ملحة عندما " صار التسلح بالوسائل الحجاجية البلاغية اللغوية أمراً ضرورياً للدفاع ضد مزاعم المشبهين و المتناولين للمتشابه من القرآن الكريم من جهة و لمقارعة الفرضيات المضادة التي يقدمها الخصوم من جهة ثانية"¹⁶¹

¹⁵⁸ - محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص30.

¹⁵⁹ - محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 260

¹⁶⁰ - م، ن، ص 261، 260.

¹⁶¹ - م، ن، ص 261.

وقد اشتغل كثير من العلماء المسلمين في هذا المجال لإثبات التنزيه القرآني، مثلما فعل ابن قتيبة في كتابه تأويل مشكل القرآن " حيث كان يصنف أقوال الطاعنين في صدقية القرآن أولاً ثم " يرد عليهم بصفة إجمالية من خلال أربعة أبواب باب الرد عليهم في أبواب القراءات، باب ما أُدعي على القرآن من اللحن، باب التناقض والاختلاف، باب المتشابه " ¹⁶² وإن اعتبر محمد العمري هذه الاجتهادات مرحلة قرائية بدأت من القرن الثاني واستمرت إلى القرن الرابع الهجري، فإن أصحابها لم يتجاوزوا طرح السؤال المنهجي والخوض في قضية اللفظ والمعنى والنظم دون التحول إلى الإجراءات اللسانية التفصيلية لاستيعاب الأوجه البديعية وتفسيرها ثم أتت بعد هذه المرحلة، حسب رأي العمري، المرحلة التي جاءت مع عبد القاهر الجرجاني الذي مزج بين بلاغتي الشعر والنثر الخطابي من أجل استخلاص بلاغة جدلية جديدة تقوم على توظيف المعطيات التداولية لإثبات تفوق النص القرآني من جهة والتأكيد على خصائص البلاغة الشعرية التي تعرضت للإهمال من جهة ثانية .

إلى جانب هذه المسائل المتعلقة بالمشاغل البلاغية الكلامية، كانت بالموازاة معها قضايا جدلية حجاجية مبنوثة في مختلف الحقول المعرفية، مما يؤول إلى أن مساءلة الهوية البلاغية لم يرتبط بالسؤال الإعجازي وحده دون إنكار الاعتبار الإعجازي طبعاً فالواقع أنه طُرح من زوايا عدة، خاصة فيما تعلق منها بإفادة البيان العربي من الفلسفة الأرسطية "وبشكل عام فالعمري يميز بين البلاغة الشعرية و البلاغة الإقناعية تقوم الأولى على التخيل والبديع وتقوم الثانية على الحجاج والإقناع وهما جناحان للبلاغة متصلان ومتداخلان لكن الفصل بينهما في البحث و الدراسة " ¹⁶³

حيث أن أرسطو " درس علاقة الخطابة بالفنون المجاورة لها كالجدل والسياسة كما اعتنى بالأحوال النفسية المؤثرة في المخاطبين والأقيسة الخطابية وكذا بترتيب أجزاء الخطاب وطبيعة الأسلوب وبما يحتاجه المحاجج في كل نوع خطابي، وأيضاً الآليات النفسية والثقافية والاجتماعية الكفيلة بالتأثير في المخاطبين " ¹⁶⁴

¹⁶² - محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ص 261.

¹⁶³ - حسن المودن، علامات، ج53، مج 14 سبتمبر 2004، ص 387.

¹⁶⁴ - محمد الأمين الطلبة م، س، ص 263.

وهكذا فمحمد العمري يرى أن ثمة ثلاثة مستويات أساسية تمثل النضج البلاغي النقدي والتداولي كما تكشف عن السعي المبكر للبلاغيين العرب لوضع نظرية بلاغية تتلاءم والمتطلبات السياسية والاجتماعية تتمثل هذه المستويات في البدايات التداولية، البلاغة المدعومة بالنحو والمنطق، ثم البلاغة النقدية أو النقد البلاغي ذكرنا سابقا أن العمري صاحب مشروع بلاغي، ويمكن تصنيف دراساته في هذا الإطار إلى صنفين يشكلان بعدين أساسيين في مشروعه العلمي أما الصنف الأول أعمال ودراسات خاصة بالبحث في الخطاب الشعري تحليل الخطاب 1990، والموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية و الممارسة الشعرية 2001 وأما الصنف الثاني فقوامه أبحاث في الخطابة والخطاب الإقناعي قديما وحديثا، في بلاغة الخطاب الإقناعي 1986، ودائرة الحوار ومزالق العنف 2002.

ولا يعني هذا الفصل أن الباحث يميز بين الشعري والخطابي، فيدرس الأول دراسة بنيوية محايدة، ويدرس الثاني دراسة تداولية خارجية، فهو لم يتجاهل الدور الذي يمكن أن يلعبه المكون الشعري في الخطاب الإقناعي، مستعينا في ذلك بنظريات القراءة في دراساته للخطاب الشعري لكشف النقاب عن النظرة التداولية إلى الشعر، وهذا ما تناوله بالبحث في كتابه البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أي البحث المنطقة التي يتقاطع فيها الشعري مع الخطابي لإعادة البحث البلاغي إلى الصدارة باعتباره علما يهتم بالخطاب في كليته أي في بعديه التخيلي الأدبي والحجاجي المنطقي، يستهل الباحث جهده بتوضيحات أساسية أهمها: أن كلمة بلاغة " لاتطرح في السياق العربي إشكالا في كونها علم الخطاب الاحتمالي بنوعيه، التخيلي والتداولي، وذلك نتيجة الدمج الذي مارسه في المرحلة الثانية من تاريخها كل من عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي ثم السكاكي وحازم القرطاجني، وذلك بعد المحاولة التليفية التي قام بها العسكري تحت عنوان الصناعتين¹⁶⁵ مشيرا إلى استمرار قيام شعار الوحدة البلاغية على الرغم من الإقصاء و الاختزال اللذين أدت إليها عملية الدمج أحيانا وأما في الثقافة الغربية، فهو يوضح أن كلمة *rhétorique* تتراوح بين ثلاثة مفاهيم كبرى :

¹⁶⁵ - علامات، العدد 17، 1999، ص 27.

1- المفهوم الأرسطي :

" الذي يخصصها لمجال الاقناع وآلياته، حيث تستغل على النص الخطابي في المقامات الثلاثة المعروفة (المشاورة، المشاجرة، المفاضلة)"¹⁶⁶ وتقابل بذلك المحاكي المخيل "poétique" أي الشعر حصرا، وذا هو المفهوم الذي أعاد صياغته بيرلمان وآخرون 2- " المفهوم الأدبي الذي يجعلها بحثا في صور الأسلوب، وهذا المفهوم هو المفهوم الذي استقر لها عبر تاريخ من الانكماش، رسم رولان بارت خطوطه العامة في محاضراته المشهورة عن تاريخ البلاغة القديمة وقد أعيدت صياغة هذا الاتجاه حديثا باعتباره بلاغة عامة أحيانا كما هو الحال في الدراسة المشهورة لجماعة "mu" تحت عنوان البلاغة العامة 167"

3- المفهوم النسقي الذي يسعى غالى جعل البلاغة علما أعلى يشمل التخيل و الحجاج ويستوعب المفهومين معا من خلال المنطقة التي يتقاطعان فيها ويوسع منطقة التقاطع إلى أقصى حد ممكن، فقد حدث خلال التاريخ أن تقلص البعد الفلسفي التداولي للبلاغة وتوسع البعد الأسلوبي حتى صار الموضوع الوحيد لها "، فايرى باعثو البلاغة، حديثا، إلى استرجاع البعد المفقود في حركة شدو جذب بين "المجال الأدبي (حيث يهيمن التخيل) والمجال الفلسفي المنطقي من جهة، و اللساني التداولي من جهة ثانية"¹⁶⁸.

ويسجل الباحث أن هذا المفهوم العام النسقي للبلاغة هو ما يهيمه، موضحا أن هذا المفهوم قد يفقد طابعه الإشكالي النسقي سعيا للدمج الكلي بين التخيل و التداولي فيشرف على حدود التفتيق كما هو الحال في كثير من النماذج المنتمية إلى السيميائيات وعلم النص، مثيرا غالى الأساس الذي يقوم عليه النسق البلاغي وإلى أن الحديث عن علم للتخيل و التداول باعتبارهما خطابين يتجهان نحو قطبين متباعدين يقتضي بيان العنصر الجوهري الذي يجمعهما، ومدى الإنتاجية الإضافية المترتبة عن الجمع فضلا عن ضرورة ضبط الحدود مع الحوار المعرفي (اللسانيات، الفلسفة، المنطق).

¹⁶⁶ - محمد العمري البلاغة الجديدة بين التخيل و التداول، ص 11.

¹⁶⁷ - م، ن، ص 12.

¹⁶⁸ - م، ن، ص ن.

يرى العمري ألاّ اختلاف، في حقيقة الأمر، بين المدافعين عن النسق البلاغي العام وبين المرتابين في إمكانية قيامه، وذلك لأن التخييل والتداول أو (الحجاج) يلتقيان في كونها خطابين قائمين على "الاحتمال توهِيمًا أو ترجيحًا، التوهِيم في التخييل والترجيح في التداول الحجاجي، فخطاب الشاعر كذب محتمل الصدق، وكلام الخطيب صدق محتمل الكذب، ومع هذا فمن الدارسين من رجح الخصوصيات النوعية لكل جنس، ففضل ومنهم من رأى أن منطقة الاتصال واسعة بشكل يجعلها كافية لقيام علم عام للشعرية والخطابية هو علم البلاغة¹⁶⁹

الفصل بين الشعرية و الخطابية :

يتطرق العمري، بالموازاة مع سياق الفصل بين الشعرية و الخطابية، إلى مقال لبول ريكور عنوانه "الخطابية، الشعرية التأويلية"، أما عن اختيار هذا المقال بالذات، فلأنه حسب العمري، "مقال مركز يفحص بعمق نقاط التماس والافتراق بين الشعرية و الخطابية ومناقشة تتيح أولاً تبيين عناصر التداخل، في سياق تدعيم هذه المناقشة بمعطيات أخرى من البلاغة العربية ومن جهة ثانية مناقشة المستندات المعتمدة في الاحتجاج لعدم إمكان قيام بلاغة عامة"¹⁷⁰ فبول ريكور يسائل البلاغة، انطلاقاً من مهدها الغربي عند اليونان، باحثاً عن نواة الشعرية والخطابية فيلاحظ أن نواة الخطابية هي فض نزاع يتم حسمه عن طريقة معاقلة توجد في منتصف ما بين الخطاب البرهاني والعنف المستتر وراء الخطاب الإغوائي الخالص، فبينهما يوجد معقول مناسب للمقامات الخطابية عند أرسطو، وأساس هذا الخطاب هو الحوار .

وأما جوهر الخطابة الأرسطية وبلاغة الحجاج عامة هو الاهتمام إلى المستمعات "auditoires"، حيث يبقى هدف الحجاج هو الإقناع، أي الحصول على موافقة المستمع ودفعه للفعل، فالخطابية هي فن الخطاب الفاعل ويضاف إلى هذا اعتبار حال المستمع في بناء الخطاب يطرح مدى صلابة المنطلقات الحجاجية .

¹⁶⁹ - محمد العمري البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص 15.

¹⁷⁰ - ينظر: م، ن، ص 15.

يخلص العمري إلى نتيجة أنه " على الخطيب أن يبحث عن تلاؤمه مع المستمع قبل أن يسحبه نحو قضيته، في حين أن المتوقع من الفيلسوف أن يتعامل، باعتراف بيرلمان نفسه، مع مستمع كوني، فهو صاحب أطروحات لا قضايا¹⁷¹ و تلتقي الشعرية مع الخطابية في كونها يعالجان نصوصا نواتها الاحتمال فالشعرية تعني عند أرسطو إنتاج الخطاب، والخطابية ليست شيئا آخر غير تركيب الخطاب أي أنها هي الأخرى *poesis*، ومع ذلك، وإن كان الشعري والخطابي يتقاطعان في منطقة المحتمل، فإن تقاطعهما بالنسبة لريكور، يعني مجيئهما من مكانين مختلفين وتوجههما نحو هدفين مختلفين، فالفعل وتوجههما نحو هدفين مختلفين، فالفعل الشعري هو خلق حكايات حبكة والفعل الخطابي هو تقديم حجج . تتبلور نواه الشعرية في العلاقة بين كلمات مفاتيح هي: الإنتاج *poesis* والحكي *muthos* والمحاكاة *memisis* والحبكة *intrigue*، وهي بهذا تعارض نواة الخطابية التي هي الحجاج، وعلى هذا، في نظر ريكور ليس ممكنا قيام علم يستوعب الشعرية والخطابية (بل والتأويلية أيضا)، إنما الممكن هو أن نتحدث كل واحدة باسمها الخاص، فتختص الخطابية بفن الحجاج الهادف إلى إقناع المستمع وتختص الشعرية بفن بناء الحبكة مستهدفة توسيع الخيال الفردي والجماعي إلا أن الباحث (ريكور) قد اعتبر تقسيم أرسطو مهذا واحدا للنشأة المزدوجة للبلاغة إلا أن الواقع هو وجود مهد البلاغة العربية التي كانت نشأتها شبيهة للبلاغة الأرسطية، دون أن تكون فيها نواة الشعرية مبلورة بصفة مماثلة لتلك التي عند أرسطو وهذا الأخير ليس المهد الأول للبلاغة اليونانية، بل هو من شطرها بعد أن كان فن القول واحدا شائعا لدى جمهور الفلاسفة والشعراء والخطباء، أضف إلى هذا أن ما وصلنا من شعرية أرسطو، قد لا يمثل تصوره في مشروعه باعتبار أن كتابه مبتور، وأهم غائب فيه هو الشعر الغنائي، الذي لو حضر، لعمت الفائدة بالحديث عن الحبكة والشعر بحكاية .

الوصل بين الشعرية و الخطابية :

في إطار البحث عن بلاغة يرى محمد العمري أن كثيرا من البلاغيين المحدثين قد بذلوا جهدا كبيرا لبيان مدى صلابة الأساس العلمي من أجل قيام بلاغة عامة، بالمفهوم الذي تحدث عنه حازم القرطاجني، أي "باعتبارها (البلاغة) علما كليا يستثمر علوم الإنسان

¹⁷¹ - محمد العمري البلاغة الجديدة بين التخيل و التداول ص17.

واللسان معا¹⁷² ومن أبرز هؤلاء ميشال مايير الذي يقول إن مسألة بناء بلاغة كلية يتطلب الخروج من المقابلة القسوية القائمة بين الوجود و اللاوجود التي بني عليها تفريق أرسطو بين الشعرية والخطابية، حيث " الشعر لاوجود يحتمل الوجود، و الخطابة وجود يحتمل الوجود، أي الشعر كذب يحتمل الصدق و الخطابة صدق يحتمل الكذب، و عليه يمكن تحقيق وحدة بلاغية بدل هذا التقابل القسوي الوجودي، باعتماد التفاعل القائم على الإشكال و المسألة"¹⁷³ ومن أبرز هؤلاء الباحثين أيضا، أوليفيروبول، الذي بحث كتابه " البلاغة " عن حل ثالث وسط، قائلا بأن جوهر البلاغة لا يتحقق في الأسلوب ولا في الحجاج بل يوجد، تحديدا، في المنطقة التي يتقاطعان فيها وبالنسبة إليه فإن كل خطاب يجمع بين الحجاج والأسلوب ينتمي إلى البلاغة، إنه الخطاب الذي يقنع بالمتعة و الإثارة مدعمتين بالحجاج . ويحاول روبرول في مقالته "الصورة و الحجة " كشف ما تصبو إليه البلاغة الجديدة من خلال استرجاع أطرافها المفقودة، والتقريب بين مكوناتها الصورة و الحجة، بادئا بحثه بالسؤال عن إمكان اعتبار الصورة حجة أو عنصرا حجاجيا على الأقل، فيبين أن الصور على اختلافها، (صورالكلمات وصور المعنى، صور التركيب)، بإمكانها أن تؤدي وظائف حجاجية، ثم يعرج إلى السؤال المعاكس عن إمكان اعتبار الحجة نفسها صورة، موضحا أن الجواب عن هذا الإشكال يقتضي أولا بيان ما يميز الحجاج عن البرهنة المنطقية من خلال أربعة ملامح :

- 1-ارتباط الحجاج بمستمع محدد يأخذه بعين الاعتبار، وهذا ما يطرح مدى صلابة المنطلقات الحجاجية .
- 2-استعمال اللغة الطبيعية في الحجاج، وهي لغة ألفاظها ملتبسة أو متعددة الدلالات وهذا ما يطبعها بالاحتمال .
- 3-مسار الحجاج لا يأخذ طريق الصرامة البرهانية .

¹⁷² - ينظر محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخيل و التداول، مرجع سابق، ص21.

¹⁷³ - م، ن، ص 21 .

4-الحجاج سجال، وهو ما يطرح مسألة الذاتية و الموضوعية، و ينتهي ريبول " إلى أن الحجة نفسها صورة يسرى عليها ما يسرى على الصور من انعدام الدقة ومن تفاعل الذوات
174»

يؤيد العمري الطرح الثاني القائل بالوصل بين الشعرية و الخطابية، وذلك بالحديث عن التخيل و التداول في مسار البلاغة العربية، فهو يرى أن الملاحظات الأسلوبية هي المصدر الأول للبلاغة العربية، التي ستجمع لاحقا تحت اسم البديع (ابن المعتز)، و أن الطموح إلى صياغة نظرية عامة للفهم و الإفهام أو للبيان و التبيين (الجاحظ) هو المصدر الثاني الكبير للبلاغة العربية، وينتهي الى أن "البلاغة العربية مهدين كبيرين أنتجا مسارين كبيرين -مسار البديع يغذيه الشعر - ومسار البيان تغذية الخطابة ونظرا للتداخل الكبير بين الشعر والخطابة، في التراث العربي، ظل المساران متداخلين وملتبسين" ¹⁷⁵، على الرغم من عظيم ما بذله الفلاسفة من جهد وهم يتراون بلاغة أرسطو وشعريته من أجل بيان " خصوصية الشعر (التخيل) وخصوصية الخطابة (التصديق)، مع التنبية إلى ما بينهما من التداخل والتخارج" ¹⁷⁶ ولعل المحاولة الوحيدة الجادة في هذا المجال هي التي بذلها حازم القرطاجني".

ثم تتبع العمري تاريخ الحوار بين التخيل والتداول في البلاغة العربية والغربية وما صاحبه من توجهات نحو التعميم والتخصيص .

ففي التراث العربي يسجل الباحث أن أول كلمة كانت لها سلطة التربع على عرش المصطلحات المرصودة لوصف الخطاب من زاوية خصوصية التعبير، هي كلمة بديع مع ابن المعتز في القرن الثالث الهجري وظلت هيمنة هذا المصطلح متواصلة لأربعة قرون، موسعة دائرة نفوذها لتنظم كل صور التعبير ووجوهه اللسانية، غير عابئة بمقامات القول ومقاصده أي الأبعاد التداولية، إلى أن ظهر مفتاح العلوم للسكاكي، مزيحا البديع عن موقع السيادة والهيمنة، ناقلا إياه إلى الهامش كما يلاحظ أن كلمة بيان مع الجاحظ خلال القرن الثالث الهجري، تربعت هي الأخرى على مجال خطابي متميز و أنتجت لائحة مصطلحية

¹⁷⁴ - محمد العمري البلاغة الجديدة بين التخيل و التداول، ص 25.

¹⁷⁵ - م، ن، ص 29.

¹⁷⁶ - م، ن، ص 31.

جديدة من خلال اهتمامها بالفهم والإفهام، بخلاف البديع الذي اهتم بالعبارة الشعرية تدرج البيان إلى كلمة بلاغة ومن كلمة بلاغة إلى كلمة خطابة، وانتقل من الواحدة إلى الأخرى، كأنما هو يتحدث عن الشيء نفسه .

وهنا يلاحظ الباحث أن كلمة بلاغة ظهرت عند العرب والإغريق في الحقل نفسه أي الخطابة موضحا أن تفرع البلاغة عن البيان يعني تقديم الإفهام عن الفهم والخروج من نظرية المعرفة إلى نظرية الإقناع، وقد إستفادت القراءات البلاغية اللاحقة من الجاحظ، إبتداء من العسكري. وإنتهاء بابن سنان الخفاجني فقد أخذ منه مكونين للخطاب الإقناعي هما المناسبة والاعتدال كما يرى، انه إلى حدود القرن الخامس الهجري، لم تكن كلمة "بلاغة" باعتبارها الحاكم العام لأرض الخطاب، قد بسطت سيطرتها بعد، على كل الأراضي التي فتحها أعوانها في مختلف أقاليم الخطاب : (شعر، خطابة، كتابة)، كما أن الجرجاني نفسه، كان في أسرار البلاغة محكوما بتوجهه إلى الشعر أي أنه كان يبحث عن أسرار بلاغة الشعر وهي بلاغة اختزلها في الجانب الدلالي وفي بعض الصور منه، وهي التشبيه، والتمثيل، والاستعارة، وقد حاول في دلائل الإعجاز تدارك بعض مافاته من الموضوع، أي جانب المناسبة التداولية، إلا أنه تمادى في إقصاء الإيقاع أوتقليص دوره إلى أقصى الحدود. غير أن الباحث يسجل أن "مشروع الجرجاني كان عميقا في حفره في مجال المعاني والمقاصد على حساب الإيقاع والمقامات والقيم الثقافية، وكان مشروع إبن سنان أكثر استيعابا وشمولية لمكونات الخطاب الكلاسيكي الشعري والخطابي، المكونات اللسانية وغير اللسانية" ¹⁷⁷

وأما السكاكي فقد جاء على البديع ذيلا للمعاني والبيان، يظم صورا تعبيرية ذات طبيعة تحسينية، ولم يجعله في مستوى واحد مع المعاني والبيان فالبلاغة هي " المعاني والبيان" ¹⁷⁸ ومع ذلك فإن أهمية ما رآه السكاكي في نظر العمري، تكمن في " اكتشاف منطقة تقاطع النحو والمنطق والشعر، أي في وصوله شخصيا إلى عاصمة البلاغة" ¹⁷⁹

¹⁷⁷ - محمد العمري البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول، ص44.

¹⁷⁸ - م، ن، ص 42.

¹⁷⁹ - م، ن، ص46.

ينتقل الباحث، بعدها، إلى إسهامات الفلاسفة مبيّنا أن ابن رشد في القرن السادس الهجري هو أول من تحدث عن عمود البلاغة، واعتبره ذا طبيعة منطقية أي أن الحجاج هو عمود البلاغة، ويسجل العمري أن هذا المنحنى في تحليق صناعة الخطابة ومنطقتها (من المنطق) هو مانجده عند البلاغة الجديدة ونظرية الحجاج في العصر الحديث، وخاصة عند برلمان، فقد لاحظ ابن رشد أن الخطابة قد عوملت في أكثر الأحوال معاملة الشعر، فكان الاهتمام بالجانب التزييني وتم إهمال الجانب الحجاجي إلا أن تحويل الوسائل الأسلوبية والتنظيمية والسيكولوجية إلى موقع العناصر الخارجية المساعدة لايعني عند ابن رشد، التقليل من شأنها ولكنه يعني أنها تابعة للجانب الحجاجي الذي يراقبه (علم الحق) أي المنطق فلا بد أولا أن يكون للخطاب شبه بالحق وانتفاء إليه.

ومع حازم القرطاجني ستتحول البلاغة الى مايسميه جازم العلم الكلي، وهذا العلم البلاغي يسمو فوق صناعات اللسان الجزئية لتصير البلاغة بلاغة معضودة بالمنطق والفلسفة ويوضح العمري أن بلاغة حازم، وإن توجهت الى الشعر، فإنها بلاغة " منفتحة على الخطاب التداولي خلال المقارنة بين التخييل والتصديق وبيان مدى تداخلهما وتخرجهما في الخطابين الشعري والتدولي"¹

في ختام دراسته للتراث البلاغي العربي، يلاحظ العمري أن البلاغة العربية قد عرفت جهودا و تحنيطا منذ سادت الشروحات و التلخيصات مشيرا إلى الدور السلبي الذي لعبه كتاب مصطفى المراغي "علوم البلاغة في المدارس و الجامعات العربية الحديثة"، حيث غاب إشكال البلاغة العربية بين الخطابين الشعري و التداولي عبر تاريخها، وكان من نتائج هذا الغياب فقدان استراتيجية تدرس البلاغة في الجامعات العربية، فصارت (البلاغة) مادة جامدة مكملة، وحلت محلها في المقررات الرسمية مواد أخرى كالأسلوبية و التداوليات الشعرية والسيميائيات والمنطق دون محاولة الباحثين مسألة هوية إحدى هذه التوجهات والروابط الممكنة بينها .

وأما في إطار حديثة عن البلاغة في التراث الغربي، فان للبلاغة معنيين كبيرين الأول، حجاجي إقناعي يصب في التداولية الحديثة، و الثاني تعبيرى شعري يصب في الأسلوبية وهو مرتبط بعملية الاختزال التي تعرضت لها البلاغة عبر تاريخها الطويل، ففي الثقافة الغربية وبعد الحرب الثانية، ظهرت أعمال بلاغية محاولة استثمار الأفق العام الذي يمكن

أن تفتحه الريطورية القديمة في الحجاج والجدل كاتجاه أول، وفي الأسلوب والشعر كاتجاه ثان، وذلك قبل ظهور صياغات عامة ذات طابع سيميائي في اتجاه الخطاب بشكل عام، كما يشير إلى عديد الأعمال المرصودة للدرس البلاغي. تنظيرا وتاريخا، وذلك -حسب العمري- بالنظر إلى الأهمية المتزايدة للسانيات التداولية و نظريات التواصل و السيميائيات و النقد الإيديولوجي والشعرية اللسانية، مسجلا أن البلاغة في العصر الحديث قد صارت علما لا ينحصر في البعد الجمالي بشكل صارم، بل هناك توجه إلى أن تصبح البلاغة علما واسعا للمجتمع نكتشف للعمري، ومن خلال هذا الاهتمام الواسع بالبلاغة ثلاث توجهات أساسية التوجه الحجاجي المنطقي (أو الفلسفي). التوجه الأسلوبى الأدبى (أو الشعري) التوجه الخطابى السيميائى (أو النصي)

يبين الباحث أثر العلوم المجاورة للسان والمنطق خاصة من أجل هيمنة بلاغات جزئية تدعى التعميم مما يسميه جرار جنيت البلاغات المعجمة، بلاغة الشعر وبلاغة الحجاج وهي عنده (العمري) بلاغات فرعية تفتقر إلى ماتقدمه لها البلاغة العامة ويوضح أنه بداخل هذه البلاغات الفرعية تقوم بلاغات جزئية ملتبسة بين التخيل والإقناع، وقد ضرب مثلا للبلاغات الجزئية هذه ببلاغة السخرية و بلاغة السيرة الذاتية حسب العمري. ليشر الباحث إلى التباس مفهوم السخرية وغموضه واضطرابه، لوقوعه وبشكل ملتبس بين التخيل والإقناع، مع ملاحظة أن البلاغيين المحدثين قد تجاوزوا هذا الاضطراب يفتح هذا الموضوع إلى أقصى ما تسمح به بنيته ليستوعب مجالا أوسع، انطلاقا من أنساق بلاغية ذات قدرة تفسيرية، وقد حصل ذلك مع معطين اثنين المتن النصي و الآلية الحوارية . فالمتن النصي الساخر شاسع في اللغة وخارج اللغة، لأن السخرية قد تكون باللغة الحوارية للسخرية فهو يعني الجانب التقويمي المشفوع بحالة وجدانية متميزة كضحك الاستخفاف وأما في الدراسات الحديثة فللخطاب الساخر مكونان أولهما مكون انفعالي أو تأثيري أو مقصدي، ويتجلى في الاستخفاف المشتمل على الضحك أو الاستهجان أو الإحساس بالمفارقة، وثانيهما مكون بنائي أو لساني أو بلاغي وهو يتجلى من خلال المفارقة الدلالية وما يترتب عنها من غموض والتباس .

يسجل العمري استحالة الحديث عن كل مكون منفردا، لأن القيمة التأثيرية للسخرية كما يقول " كيريرا أوركشيووني " واحدة من خصوصياتها الشكلية فالتقابل الدلالي إنما يتم داخل

الضرورات القيمة التي يفرضها العنصر التأثيري ويركز الباحث من خلال خطاطه التوضيحية على إبراز المركز الذي يتقاطع فيه المكونان الأساسان للصخرية، المكون الدلالي والمكون التأثيري، وتحديد هذا المركز جدير، حسب العمري، برفع اللبس الذي يغلف مجموعة من المفاهيم التي تعيش في اتصال وانفصال مع السخرية الأدبية الرفيعة ومنها الفكاهة والتهريج والخلاعة.....

يوجد موضوع السخرية من منطقة تنازع اللساني التداولي والفيلسوف، ويمكن للبلاغي أن يستفيد من هذا التنازع، وأن يحدد وصفته الخاصة انطلاقاً من العناصر المتفاعلة في إنتاج الخطاب الساخر، لأن العلاقة بين الساخر والهدف من السخرية وكفاءة المتلقي المفترض أو الواقعي تلعب دوراً أساسياً في تحديد ما يمكن أن تأخذه السخرية من قدر من المكونين المذكورين، (الدلالي، والتأثيري)، ويحدث هذا التفاعل على مستويات أبرزها حال المخاطب كفاءته، حال الساخر وقدرته، بالإضافة إلى الظروف المحيطة بكل أطراف العملية.

تمسك الدارسون المحدثون في حقل البلاغة والتداوليات، بالطبيعة الأدبية والجدالية للسخرية ومهملين الجانب الفلسفي، وبالنظر إلى اختلاف هؤلاء الدارسين في تركيزهم على أحد المكونين على حساب الثاني اقترح المحدثون اقتراحات شتى لتفسير اشتغال السخرية الأدبية، يجهلها العمري في ثلاثة اتجاهات:

الأول يقول بأن السخرية مفارقة، ذات صيغة وجدانية، أي أنها قول ضد المراد لغرض الهزء، ويميز الباحث داخل هذا الاتجاه بين منحيين أحدهما لساني وثانيهما نفسي ظاهراتي

الثاني يقول إن السخرية استرجاع : و هو اتجاه نجح في تفسير عدد كبير من الأمثلة التي استعصت على نظرية المجاز (القائمة على المفارقة الدلالية) وكشف الجانب الحوارى في السخرية فأبان بذلك عن حيويتها .

الثالث يقول إن السخرية مفارقة استرجاعية إحالية، و هو اتجاه تداولى لساني يدمج المفارقة والاسترجاع في صياغة عامة ترصد القيم الحجاجية في الخطاب الساخر وتجعلها ميزة للمفارقة الساخرة . يعرج الباحث على الجانب التطبيقي متخذاً من سخرية الجاحظ حقلاً للدراسة قصد استكشاف آلياتها ويخلص بعدها إلى أنها (سخرية الجاحظ)

تقوم على ثلاث آليات متفاعلة هي الإلتباس، الذهول، التوريط الالتهاس، وهو لآلية التي قاصت عليها السخرية الأدبية في البخلاء، فبخلاء الجاحظ، في واقع الأمر ليسوا فقراء ولا هم من العامة أو قليلي المعرفة، بل هم في مستوى مميز من المعرفة، فكيف يكونون بخلاء وهم ذوو معرفة واسعة؟

الذهول: وهو من أهم مبادئ تفسير السخرية وجلب الضحك، ويعني الذهول وقوع المسخور منه في غفلة وذهول وانصراف عن المقام فيخفق في توجيه الحجة لا في استجلابها

التوريط: ويعني أن الخطاب الساخر يسخف الاعوجاج ويمده بالوسائل التي تجعله أكثر إعوجاج حتى يكشف نفسه بنفسه، على غير الخطاب الاخباري الذي يحرص على مطابقة الخطاب للواقعة، حيث يجتنب تهمة الكذب والمبالغة، وهو أيضا (خطاب السخرية) على غير الخطاب الموعضي الذي يسعى الى تقويم الاعوجاج والتصدي للعيوب.

يكشف العمري إن الجاحظ، كان يسخر في أسئلة زائفة في عصره تحركها الشعبوية أو السياسة أو حتى البداوة، وقد نجح في تحويل قضايا الصراع الاجتماعي والسياسي والفكري في عصره الى قضايا أدبية كثيرة الخيال العام وتحقق المتعة الفنية، وهذا ما ضمن لسخرية الجاحظ الخلود والكونية "

ثم ينتقل إلى الحديث عن بلاغة السيرة الذاتية، حيث تمكّن، استنادا إلى القضايا التي أثارها جورج ماي، في كتابة السيرة الذاتية، من رصد خطوط مجال افتراضي لإمكانية تحقيق السيرة الذاتية، فهي في نظره تحدث عن محور يمتد من التاريخي إلى الروائي، ويقترح تسمية هذا المحور محور الحدث أو الخبر الذي يتقاطع مع محور آخر يدعوه محور الوجدان ويمتد بين الشعر والمدهش وهذا يعني ان السيرة الذاتية " تجمع بين الواقع والمفترض ملونة المفترض بدهشة السؤال: هكذا وقع؟ فكيف أمكن أن يقع على هذا الشكل؟ " مشيرا إلى إمكانية اقتراب السيرة الذاتية، أحيانا من التاريخ في خطية التحول التدخل التخيلي إلى الهامش، كما وقع " في حفريات في الذاكرة لمحمد عابد الجابري متحدثا عن تراجع القيمة الأدبية للنص وقد تمتد السيرة الذاتية أحيانا نحو قطب التخيل الروائي، فتكون نسبتها الى أصلها من قبل الافتراض، خاصة حين يعثر المؤلف ماكتبه

رواية، ويستعير اسما غير اسمه وضميرا غير ضميره كما هو حال المجرى الثابت لادمون عمران المالح ولعبه النسيان لمحمد جرادة، وفي إطار حديثه عن مفهوم المدهش وامتداده يشير إلى الانفراج في مجال حقوق الإنسان وحرية التعبير بفعل الرجاء العنيفة التي ضربت حياة الأفراد والمجموعات بفعل تغيرات الأوضاع في المغرب على المستويات الاجتماعية، السياسية، والثقافية ويضرب كمثال كما سبق المتن السير ذاتي السجني من مذكرات محمد الرايس إلى زنزانة أحمد المرزوقي هي عبارة عن مرافعات مفعمة بالشكوى والألم موجّهة لإدانة ذلك الزمن الأسود وهي تنطوي على السؤال : كيف أمكن أن يقع لي ما وقع ؟ ومع سير الاحتجاج ظهرت سير الشهادة على العصر، وأشهرها مذكرات الفقيه البصري ومذكرات عبد الهادي بوطالب، وهي تنطوي على هذا السؤال: كيف تواجهنا ؟ وكيف أمكن أن تتواجه بذلك الشكل ؟ ولمزيد من الحفر في منطقة التقاطع بين التخيل والتداول يتناول الباحث أخيرا الآلية البلاغية المركزية أو المجاز في تأزمه بين البعد المعرفي الإقناعي والبعد التخيلي الإبداعي. فينطلق من البحث في الخلفية اللغوية والدينية للمجاز، متتبعا مساره الفكري، واللغوي والديني العربي في مرحلة التشكلات، من خلال نقطتين.

1) الشاذ والنسبي في نظر اللغة والدين

2) توجيه المجاز نحو التخيل الأدبي تحت عنوان ترويض المجاز، وينتقل إلى استكشاف المجال الاستعاري منطلقا من مفهوم " البناء " على الصور عند الجرجاني بشكل خاص استنادا إلى حكايتين الأولى حكاية ظهور الخمر والثانية حكاية الشاعر الذي أعطي بمد شعر جائزة على ماأنشد من الشعر.

حيث يلاحظ أن الاستعارة تتراكم في طبقات تتحول حكايا من أسطورة صغيرة إلى أسطورة في أسطورة فيتم الانتقال من مستوى الجملة إلى مستوى النص كما يتم التداخل بين الواقع التاريخي والخيالي العجائبي، وبين الحجاجي والفني.

ثم يتناول مفهوم الصورة البلاغية وما يطرحه من إشكالات في الدراسات الأدبية الحديثة على مستوى المستويات.

3- اتجاه البلاغة الجديدة و السيميائية: (أحمد يوسف):

يعتبر الباحثان الجزائريان رشيد بن مالك وأحمد يوسف، رمزين من رموز النقد الحدائى الجزائري بالنظر إلى رغبتهما في تأسيس مشروع سيميائي للنقد الجزائري لشعورهما بالنقص الفادح في التعريف بالأصول الفلسفية التي مهدت للتنظير السيميائي على الرغم من بالغ الأهمية لهذه الأصول في المعرفة السيميائية.

فإذا كان رشيد بن مالك يرى بأن: "التأريخ للحركة السيميائية بوصفها مشروع بحث في طور الإنجاز ضروري لموضعتها في سياقها التاريخي ولضبط معالمها الأساسية والكشف عن النظريات التي مهدت لظهورها، وأن هذه العملية كفيلة بتوجيه القارئ نحو أصولها بصفة مباشرة، إذ، بدونها، سيجد مشقة في استساغة هذه النصوص السيميائية التي تكاد تكون معقدة في قراءتها حتى على أهل الاختصاص، وتتعد الأمور أكثر باضطراب الخطابات السيميائية المعاصرة"¹⁸⁰.

يتزايد هذا الشعور بحدة أشد عند الباحث أحمد يوسف حيث يرى أنه "لا يمكن تجريد السيميائيات المعاصرة من أصولها الفلسفية القديمة"¹⁸¹.

فذلك لعمرى كليل بتوضيح معالمها وسبر أغوارها المعرفية من أجل بلورة فكرة أكثر جلاءً عن السيميائيات بغية الوصول إلى إرساء أسس منهج سيميائي واضح المعالم في النقد الجزائري بما يكفل تطوير الممارسة النقدية و إخراجها من إخراج تشيعها لمدرسة نقدية دون غيرها.

المشروع السيميائي لأحمد يوسف:

جاءت الأعمال التي قدمها أحمد يوسف قائمة على أسس فلسفية ومعرفية مدروسة لتبشر بميلاد الخطاب السيميائي الجزائري، فكانت هذه الأعمال على النحو التالي:

1- إنجاز بحوث علمية لتتبع أصول السيميائيات .

2- تكوين مجموعة من الباحثين في هذا التخصص.

3- إصدار مجلة متخصصة في السيميائيات.

¹⁸⁰ - بن مالك رشيد، مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصة للنشر، الجزائر ، 2000 ، ص6.

¹⁸¹ - يوسف أحمد ، السيميائيات الواصفة ، المركز الثقافي العربي، ط1 ، الدار البيضاء ، 2005 ، ص118.

4- تأسيس مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب.

ويمكننا أن نقرأ فيما قدمه هذا الباحث بداية تكون مشروع نقد سيميائي فيالنقدالجزائري وما يهمننا هنا هو ما يتعلق بالبحوث التي قدمها . فقد التقت من البداية إلى الأصول الفلسفية للمناهج النسقية، فهو يرى بأن الفهم الجيد لتلك المناهج يبدأ من معرفة أصولها، لأن ذلك في نظره يمكن الناقد من السيطرة على الأدوات الإجرائية التي تتحكم في المنهج، مما يجنبه المزالق في التطبيق . وعلى العموم نقول بأن هذاالباحث قداستطاع أن يتمثل السيميائيات في أصولها ومقاصد منهجيتها . وعمل مثل هذا يحتاج إلى تبصرمعرفي كبير وإلى جهد مضم ومعرفة واسعة بعلوم شتى وخاصة (الفلسفة، المنطق، الرياضيات،) . فالمعروف عن السيميائيات أنها علم كل العلوم، لأنها تستفيد من كل العلوم، وهو ما جعلها تصلح آلة من النضج"استدعت التفكير في كتابة تاريخ يرسم الخط التصاعدي لهذا العلم الجديدولقد حاول بعض الباحثين استعادة لحظات التأسيس والنمو والتعدد والانفجار من خلال تحديد أهم المحطات التي عرفت السيميائيات. وكان هناك ما يدعو إلى ذلك فلقد تشعبت الدراسات السيميائية وتوعدت وظهر تداخلها تيارات ذهبت بالتحليل في جميع الاتجاهات، ووسعت من دائرته ليشمل كل المناطق التي تغطي الوجود الإنساني بدءا باللسان وانتهاء بكل مظاهر السلوك الإنساني، اللغة واللباس والعلاقات الاجتماعية والطقوس الأسطورية والدينية.

كان لابد من التمييز والفصل بين ما ينتمي حقا إلى السيميائيات وبين التخصصات التي تستعير منها بعض أدواتها فقط، وبين الممارسات التي لاعلاقة لها بها على الإطلاق"¹⁸² ومن هنا كان الخطاب التأسيسي لدى د /يوسف أحمد يتأسس من خلال فرضية مفادها أن السيميائيات هي جهاز مفاهيمي معرفي يمتد بجذوره في الإرث المعرفي الإنساني منذ أن بدأ الإنسان يعي ويفكر ويضع الأسس المعرفية وإلى اليوم، "إن مفهوم العلامة ليس وفقا كما يعتقد إيكو على اللسانيات، و لا حتى على السيميائيات الخاصة . ولكنه يضرب في تاريخ التفكير الفلسفي بجميع مشاربه الثقافية لكون اللغة إذا استحضرتنا استعارة ميرلوبونتي

¹⁸² - بنكراد سعيد، السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، مرجع سابق، ص7.

عنصرا حيويا للإنسان كما هو الماء عنصر حياة للأسماك والحيوانات المائية التي لا تستطيع أن تعيش خارجه¹⁸³

وهذا الطرح دفعه إلى القيام بعمل حفري في التراث الثقافي الإنساني خاصة التراث الغربي، ليتتبع من خلاله المعرفة السيميائية في أصولها الأولى، والوقوف على أهم المحطات التي كان لها التأثير المباشر في السيميائيات الحديثة. وقد جسده عمله ذلك من خلال مؤلفين هما : السيميائيات الواصفة (المنطق السيميائي وجبر العلامات) والدلالات المفتوحة (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة) وقد اتبعني عمله منهاجا يقوم على:

أ/ الرجوع إلى الخلفيات الفلسفية التي تناولت العلامة وفلسفة اللغة قديما وحديثا لربط السيميائيات الحديثة بأصولها الفلسفية والفكرية. وبذلك قدم عملا معرفيا منهاجا سد به ذلك النقص الذي كان يعيب المشروع السيميائي في النقد الحدائثي الجزائري، و هو من البداية يظهر تفهما كبيرا لما يقوم به، لذا يرى بأنه "لا يمكن تقديم تصور لماهية العلامة، دون الوقوف على علاقتها بالمعنى، وهذه العلاقة شكلت هاجسا معرفيا للتفكير الفلسفي القديم منذ أن بدأ التأمل في العلاقة القائمة بين اللغة والفكر وبين الصور والأشياء من جهة والكلمات والأشياء من جهة أخرى"¹⁸⁴. و"أن فهم المعنى من المنظور السيميائي لا ينبغي فصله عن النسق الفلسفي والعلمي، أي عن المعرفة الإنسانية التي جعلت "جون لوك" يهتدي إلى السيميائيات التي ترتبط ببقية عناصر هذه المعرفة"¹⁸⁵ مثل هذا الطرح الواعي المتفهم لدور الفلسفة والمنطق في تطوير المقولات المعرفية، هو الذي أكسب بحوثه قوة الحجة ودقة المعلومة ومنطقية السؤال . لأنه باحث يؤمن بتلك الصرامة العلمية التي تمكن الناقد من الوقوف على حقيقة النص الإبداعي، وأنه بدون تلك الصرامة تضيع الحقيقة تبعا للأهواء" ولهذا ينبغي أن نحاط منهاجيا في إصدار الأحكام القطعية التي تتنافى مع صرامة البحث العلمي الجاد الذي يتجاوز الأحكام الانطباعية والمطلقة، غير أن هذه الاحتياطات المنهجية لا ينبغي أن تمنعنا من إبداء الرأي، مهما كان يبدو في ظاهره قاسيا وما هو بقاس في واقع الأمر، وإنما الواقع يفرض هذه الحقيقة أو تلك، ولكن الناس هم الذين لم يتعودوا على تقبل

¹⁸³ - يوسف أحمد، الدلالات المفتوحة، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، 2005 ص 9.

¹⁸⁴ - م، ن، ص 19.

¹⁸⁵ - يوسف أحمد، السلالة الشعرية، ص 10.

لغة الطرح العلمي تقبلا حسنا، وتربوا على منطق التبرير والتماس الأسباب الواهية لماهم بصدد إقراره دون سند علمي . وقد أقررنا في غير هذا الموضوع استحالة وجود قراءة حيادية خالصة ونتائج مطلقة بالمرّة . إن المنطق النقدي الذي لا يتسلح بالنسبية سينتهي لا محالة إلى الإفلاس والانسداد، ولا يحقق المقاصد العامة للبحث العلمي المتوخاة في مثل هذه الأمور الجليّة والمسائل الفردية¹⁸⁶ . إن الصرامة العلمية التي يؤمن بها الباحث هي التي أنتجت ذلك الخطاب النقدي الذي يمتح وجوده من تلك الأحكام العلمية الصارمة التي لا تتحاز إلى جهة ما . فهو خطاب نقدي يتوشح بوشاح الصدق العلمي وعدم المراوغة والكذب وتجاوز الحقيقة، والتواضع العلمي والابتعاد عن الأحكام الارتجالية الخالية من الدليل العلمي .

و إذا كان الخطاب النقدي هو فاعلية قرائية، تستقرئ النصوص الإبداعية للوقوف على ما تخزنه في جوفها من معرفة وفكر وما تتوفر عليه من جمال، وبعبارة أخرى هو كيان من الفكر والمعرفة قائم بذاته يعمل على محاورة النصوص الإبداعية، فإن ذلك يقتضي من الذي يقوم به أن يحمل زادا معرفيا علميا. وهو ما نقف عليه لدى يوسف أحمد فهو يتوفر على رصيد معرفي فلسفي ورياضي إلى جانب الاطلاع الواسع على كل مصادر المعرفة لذلك كان مشروعه السيميائي يتأسس على وعي نقدي جديد يقوم على أسس معرفية علمية متينة . أي على وعي نقدي يتمثل المنهج على حقيقته العلمية. ومن هنا كان الخطاب الصادر عنه خطاب يتوفر على التمثل الصحيح للمرجعيات المعرفية المؤسسة للنظرية السيميائية . خطاب واع بذلك التراكم المعرفي الذي يقف خلف النظريات السيميائية الحديثة . لذلك حاول أن يربط التنظير السيميائي بأصوله المعرفية المؤسسة له . أي ربط الخطاب السيميائي بأصوله المعرفية الفلسفية

فهو يدرك بأنه لا يمكن فصل المنطق السيميائي عن أصوله الفلسفية . وقصده من ذلك كله الوقوف على المسار الذي قطعه السيميائيات من المقولات الفلسفية اليونانية إلى المقولات الفلسفية الحديثة، ومن المنطق القديم إلى المنطق الحديث . وبذلك استطاع من خلال عمله هذا أن يوفر للناقد السيميائي العربي جهازا مفاهيميا متكاملًا. وما نحاول قوله بعد الذي قلناه سابقا هو أن يوسف أحمد كاتب " السيميائيات الواصفة " والدلالات المفتوحة " قد كان

¹⁸⁶ - يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة، ص 19.

واضحا فيما يريد أن يقوله فيما يتعلق بالأصول المعرفية والفلسفية للسميائيات الحديثة، حيث أكد على أن أصول الخطاب السيميائي توجد في تلك المقولات الفلسفية والفكرية التي سبقت مقولات دوسوسير وش. س. بورس. وأن عملهما جاء نتيجة تراكمات معرفية سابقة تمتد من ديمقريطس الإغريقي إلى كارناب في العصر الحديث. وقد جسد ذلك الطرح في الكتابين المذكورين سابقا على النحو التالي:

أولا: المنطق الإغريقي:

يُلاحظ بداية أن السيميائيات ليست وليدة مقولات دوسوسير و ش. س بورس وإنما تعود إلى أقدم العصور، فهناك الكثير من الفلاسفة الذين تكلموا عن العلامة وعن فلسفة اللغة، وهؤلاء هم الذين وضعوا البذور الأولى للسميائيات. لذلك فهناك ارتباط وثيق إلى حد التطابق بين السيميائيات والمنطق ونظرية المعرفة. وعليه فالمنطق الإغريقي يعد في نظره المنطلق الأول للسميائيات. فمقولات كل من ديمقريطس وهيرقليطس وبارميندس وسقراط وأفلاطون وأرسطو، تساعدنا في فهم العلاقة بين السيميائيات والمنطق. لأن المنطق اليوناني أعطى للغة مكانة كبيرة، فمنطق أرسطو يعتبر البداية الأولى لما يسمى بفلسفة اللغة فقد استخلص أرسطو مبادئ العقل التي تحصر الحقيقة في مجال تطابق الفكر مع الواقع على نحو مخالف لفكرة أن الحقيقة متأنية من انسجام الفكر مع نفسه. وهكذا فإن النسقية السيميائية الأرسطية ذات الطبيعة الأنطولوجية تربط العلامات بالعوالم العيانية الفعلية، وذلك لأن هذه العلامات تنظم داخل قوانين الوجود¹⁸⁷ لقد اهتم المنطق الإغريقي بالعلامة اهتمامه باللغة "إن العلامة في التفكير الإغريقي قد تدل على عرض symptôme من الأعراض المرضية و يقال لها حينئذ semeion ولهذا ارتبط هذا العلم منذ القديم بالطب ولكن إفلاطون يصطنع المصطلح ليرادف لديه العلامة اللسانية¹⁸⁸ وهنا يتساءل الباحث عن علاقة المصطلح بدو سوسير فيقول: "ولسنا ندري ما إذا كان دوسوسير قد اقتبس هذا المفهوم منه أم من الفلسفة الرواقية، غير أن أرسطو يقيم فرقا بين نظرية العلامة اللسانية و نظرية sémion.¹⁸⁹ والمؤكد في الفكر الإغريقي أنهم "فرقوا بين

187 - يوسف أحمد، الدلالات المفتوحة، ص 20.

188 - م، ن، ص ن.

189 - م، ن، ص 30.

العلامة اللغوية و كلمة sémion، وهذا الجذر اللغوي هو الذي دفع دوسوسير إلى أن ينحت منه مصطلح السيميولوجية sémiologie¹⁹⁰

ومن هنا نجد أن التصورات التي قدمها المنطق الأرسطي تعد البوادر الأولى للسيميائيات الحسية وبناء عليه فإن نظرية الحكم الأرسطية ببعديها النفسي والمنطقي وبطبيعتها الجدلية العلمية تتمثل في وحدة التركيب والتحليل اللذين لا يكادان ينفصلان في أثناء عملهما، ولا سيما إذا كان مجردين، وترتبط بالخطابات التي تتوافر على خبر التي تتحكم في عناصر الحكم فهي قائمة على علامات وجودية متضايفة بينها¹⁹¹

وقد أدى به البحث في مقولات المنطق الأرسطي إلى الوقوف على تلك العلاقة التي تربط بين منطق أرسطو والتتظير السيميائي عند غريماس على الرغم من أن غريماس يدعى بأنه يستمد ذلك من لسانيات دوسوسير. ف" إذا رمنا الحديث عن العلامات التي تتحكم في عناصر الحكم فهي قائمة على علامات وجودية متضايفة بين المتصل بوصفه حكما إثباتيا conjunction والمنفصل بوصفه حكما منفيا disjonction التي سيكون لهذه العلاقات حضور متميز في النظرية العاملية ل: غريماس¹⁹² ومعنى ذلك أن "الثنائية التي تنتظم فيها الأحكام ترتكز على التقابليين الإثبات والنفي. ومن هذه الثنائية ينبثق مبدأ التناقض، إذ ولا وجود لتناقض ما لم يكن هنا كتطابق بين الإثبات والنفي. ومن هنا تتبين لنا الأصول المنطقية " للمربع السيميائي " أو " المربع الدلالي " الذي يعد من أبرز معالم التفكير السيميائي لدى غريماس الذي يقيمه على ثلاث علاقات : التناقض والتضمن والتضاد، على الرغم من أن غريماس وكورتاس يعيدانه إلى أصول لسانية.¹⁹³ وهكذا تتضح للباحث العلاقة بين المربع السيميائي لغريماس و"مربع التقابل الذي اصطنعته النسقية الأرسطية فبتطبيق الأحكام على مبدأي التناقض والثالث المرفوع¹⁹⁴ وذلك يؤكد بأن مقولات أرسطو

¹⁹⁰ - يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة، ص 20.

¹⁹¹ - م، ن، ص 21.

¹⁹² - م، ن، ص ن.

¹⁹³ - م، ن، ص 22.

¹⁹⁴ - م، ن، ص 28.

كانت فاتحة للتفكير السيميائي لدى الإغريق، وبخاصة أنه استوحى هذه المبادئ من خصائص اللغة اليونانية كما أشار إلى ذلك كل من إميل بنفينستو وأمبرتو إيكو¹⁹⁵.

ثانيا المنطق الرواقي والسيميائيات:

من إيجابيات الفلسفة الرواقية أنها " تفردت في ضم المنطق إلى مباحث اللغة والدلالة، ولهذا كله كانت لها قصب السبق في أن تكون لها قدم راسخة في تاريخ التفكير السيميائي القديم"¹⁹⁶ وعليه فقد تميزت الفلسفة الرواقية بالطرح الصائب والعمق الفكري فيما يخص الربط بين المنطق واللغة، لذلك أسست لما يسمى بفلسفة اللغة. " وإذا ربطنا ميلاد مصطلح السيميائيات بجون لوك " الذي يمكن إرجاع بعض يناييع تصاورته الفكرية والفلسفية إلى الرواقيين، فيمكننا أن نقول بأن أصول السيميائيات إذا توخينا التتبع التاريخي تعود إلى التفكير الرواقي ومنطقه الذي لم يكن بعيدا عن المتصورات الأولى لما يمكن أن نطلق عليه اليوم بفلسفة اللغة"¹⁹⁷ فالمسألة اللغوية في نظر الرواقيين هي مسألة معرفة " لقد أرجع الرواقيون المسألة اللغوية إلى الموضوعات العرفية، ولم يكتفوا بإقحامها في متصورات النظرية العلمية وحقائقها العامة. ف " حياة اللغة " لا تخرج عن دائرة مستعملها، ومن ثم فإن طبيعتها الاجتماعية فرضت على الفلسفة الرواقية أن تدمجها في القضايا المنطقية، وتضفي عليها بعدا سيميائيا بحكم وظيفتها التواصلية التي انتصرت لها اللسانيات الحديثة، لأنهم لم يكتفوا بالنظر إلى العلامات اللسانية، و إنما ركزوا أيضا على العلامات غير اللسانية"¹⁹⁸ وهنا تظهر لنا أهمية الفلسفة الرواقية فيما يتعلق بالعلامات اللسانية والعلامات غير اللسانية في المشروع السيميائي الحديث . فنظرة المنطق الرواقي للعلامة سواء كانت لسانية أو غير لسانية وما ارتبط بذلك من مقولات معرفية تتعلق بالشيء خارج النفس، وما ينتجها لشيء نفسه، كل ذلك "التصور سيجد صده في حد العلامة لدى بورس" ، وسيترجم إلى مفهوم الدلالات المفتوحة التي لا تؤمن بأن العلامة هي محاكاة أو مرآة لما تحمله أو تنقله أو

¹⁹⁵ - يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة، ص 28.

¹⁹⁶ - م، ن، ص 29.

¹⁹⁷ - م، ن، ص ن.

¹⁹⁸ - م، ن، ص 86.

تتمثله بما في ذلك العلامات الإيقونية¹⁹⁹ وهكذا نقف على علاقة منطوق "ش.س. بورس" بالمنطق الرواقي، فقد استطاع الرواقيون من خلال دارستهم للعلامات أن يبنوا نظريتهما الاستدلالية "ومن هنا يمكننا القول مع " بروشار " بأن المنطق الرواقي قائم على أساس نظرية العلامات، ولاسيما في نظرية البرهان. فقد رأوا بأن هناك ارتباطا وثيقا وضروريا بين العلامات والأشياء التي تدل عليها"²⁰⁰ وهو ما يجعلنا نقف على أن المنطق الرواقي، هو منطق العلامة، في الفكر الإغريقي. "ومهما يكن فإن منطق الرواقيين إذا انضاف إلى حوارات سقراط ومنطق أرسطو ستكون المنطلقات الأولى لبراغماتية بورس التي تكتسي سمة منطقية و ليست خالصة اصطنعها في بلورة نظريته حول العلامات "²⁰¹ كما نشير أيضا إلى تأثير سيميائية القرون الوسطى في السيميائيات الحديثة من خلال ما أنتجه كل من القديس أوغسطين في مجال اللغة والعلامة . والقديس أنسلم الذي استلهم منه غريماس مربعه السيميائي وسكوت الذي تأثر به بورس وهو ما " يظهر التأثير القوي لسيميائيات العصور الوسطى في السيميائيات الحديثة. "²⁰²

ثالثا: العصر الحديث:

إذا كان فلاسفة اليونان وفلاسفة القرون الوسطى قد قدموا مقولات فلسفية تتعلق بالكون وبالوجود وبالإنسان وباللغة، فإن فلاسفة العصر الحديث قد حاولوا إرساء النظم الفكرية الكبرى معا لأخذ مما تركه الأسلاف، أما فلاسفة القرن العشرين ومفكروه، فقد انهمكوا، بصورة عامة في تحليل نظم ذلك الصرح الكبير الذي بناه أسلافهم، والنظر في المنهجيات التي أرسوها. "²⁰³ ومن هنا يتبين لنا مدى استفادة فلاسفة العصر الحديث من الموروث الفلسفي الذي سبقهم وأنه كان المحرك الأساسي لأفكارهم مما دفعهم إلى تطوير الخطاب الفلسفي وضبط أسسه على المنطق العلمي. و"يعكس منطق بولروايا لتأثرهم بجوهر فلسفة" ديكارت " التي كانت تنشد وضوح الأفكار وبيانها، وتنبذ كل ما يجعلها غير

199- يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة، ص 41.

200- يوسف أحمد، الدلالات المفتوحة، ص 31.

201- إبراهيم عبد الله، معرفة الآخر، ص 7.

202- يوسف أحمد، م، س، ص 47.

203- م، ن، ص 49.

واضحة²⁰⁴ وقد تجسدت رؤيتهما السيميائية انطلاقاً من تصورهم للوجود "فهناك أنساق قارة في اللغات يمكن أن تتزاح لتصبح أنساقاً كونية تشمل جميع الخطابات بعامة والسردية بخاصة، ولعل ذلك ما يسمح بالوقوف على الملامح الأولى للسيميائيات المحايثة و لا غرو أن يلقي إسهامهم استحساناً من قبل كل من دو سوسير و تشومسكي.²⁰⁵ وأن اللافت للنظر أن " الفيلسوف هوبز " المتأثر بالمنطق الرواقي، قد نظر إلى الفكر وبضمنه اللغة على أنها عملية حسابية أوجبرية، وهو ما دفع التوجه الإسمي لفلسفته "القائلة بعدم وجود فكرة عامة بأن تُقبل قبولاً لا تردد فيه بالتسليم باعتبارية اللغة والفكر على السواء، لأن الكلمة وحدها هي لفظة عامة"²⁰⁶

إذن فالنزعة الاسمية لـ " هوبز " قد أثارت مسألة أن الفكر هو علامات حساب أو لغة حساب. وإذا كان هوبز قد تقبل مقولة اعتبارية اللغة فإن "جون لوك قد قدم دعوى (الاعتباطية) تقديماً جريئاً لا لبس فيه، بل تناوله في صميم إشكاليته، وهذا كفيلاً بأن يضعنا مرة أخرى أمام المصادر الخفية التي امتحت منها فلسفة دو سوسير اللسانية . من هوبز إلى كارناب ومرورا بلامبير سعى جلهم سعياً فيه بعض الجبر إلى بناء أنساق منطقية تنطلق من التفكير حول العلامة وفلسفة المعنى، ولعل ذلك يرجع إلى إحساس متعاضم بقصور اللغة الطبيعية، وعجزها عن الاضطلاع بواجبها على نحو تام"²⁰⁷ إن قصور اللغة الطبيعية كان الدافع للكثير من المفكرين للبحث عن البديل، فكان لايبنتز فاتحة لميلاد المنطق الرمزي واتجه المنطق معه إلى بناء العلم ذاته، ولم يعد آلة يعرف بها الصدق والكذب. وذلك ما جعل ش. س. بورس يرى بأن منطق لايبنتز هو تسمية أخرى للسيميائيات . إن اجتهادات "لايبنتز" فيما يخص وضع أسس المنطق الرمزي كان لها الفضل في أن بدأت العلاقة بين الرياضيات والمنطق تتوطد إلى درجة أن أصبحت الرياضيات لدى المثاليين والماديين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر أنموذجاً لكل العلوم حتى هيمن على العقلانية المعاصرة

²⁰⁴ - يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة، ص 53.

²⁰⁵ - م، ن، ص 54.

²⁰⁶ - م، ن، ص 105.

²⁰⁷ - م، ن، ص 69.

208» وهكذا كان لتلك الجهود الفكرية دور كبير في أن يتبلور الحساب المنطقي "الذي كان له دور حاسم في إشاعة الاهتمام بلغة الحساب وتشييد المنطق السيميائي" 209

وكان للاتجاه الرمزي الذي وضع لايبنتز لبناته الأولى، تأثيره في الفيلسوف الألماني إرنستكاسير صاحب كتاب فلسفة الأشكال الرمزية والذي كان يرى بأن الأفكار هي رموز للواقع ولذا رفض نظرية الانعكاس. فالكلام في نظر هليس مجرد أداة، ذلك أن دور هليس تسمية حقيقة سابقة الوجود بل هو تمفصلها وتصورها، وأن فضل كاسير يعود إلى تساؤله حول القوانين الخاصة التي تتحكم في الأنظمة الرمزية وحول الفوارق الموجودة بينها وبين قواعد المنطق.

وإذا كان كاسير قد وضع منطق رمزية اللغة فإن كوندياك (1715-1780) قد أدرك العلاقة بين الفكر واللغة... وهو يعتقد أنه يستحيل أن يتم النشاط الفكري في غياب اللغة ورموزها، فهو يرى أن اللغة الإشارية هي اللغة الأصلية كالحركات وملامح الوجه ونبرات الصوت. إن الأنساق السيميائية غير اللسانية كانت العمليات الأولى التي اصطنعها الإنسان ف يتبلغ أفكاره، وتحقيق التواصل مع محيطه، وعليه وصف السيميائيون هذه الأنساق بأنها " لغات " وكذا تصورهما كوندياك حينما أطلق على هذه العلامات لغة الفعل (langage d'action) والملاحظ أن مقولات كوندياك تنتهي إلى الإقرار بالسيميائيات المحايثة وبلغة الحساب. وترتب عن ذلك "إن السيميائيات التي تتشيد على لغة الحساب ينبغي لها أن تكون ذات طبيعة محايثة مجالها الفنون كلها" 210

وتجدر الإشارة إلى أن الرياضيات ظلت "المعرفة التي تثير دهشة الفلاسفة من حيث انسجام مفاهيمها واتساق دعاواها فلم بعضهم بإنشاء لغة كونية تحاكي لغة الرياضيات في عالميتها وانتظامها الداخلي. وعلى هذا النحو كانت الرياضيات النموذج الأعلى للسيميائيات المتعالية لديكارت وسبينوزا أن وضعا لبنات النسق السيميائي في التأمل الفلسفي من خلال مأسماه سبينوزا بالمنهج الهندسي. 211" وهكذا تتضح لنا علاقة السيميائيات بالمنطق الرمزي

208- رشيد بن مالك، السيميائيات و النص الأدبي، ص333.

209- يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة، ص69.

210- م، ن، ص71.

211- م، ن، ص78.

وبلغة الحساب ومن هنا ف"إن وجه الجدة في منطق جورج بول يتمثل في الإرهاصات المبكرة للتفكيرالسيميائي الذي ستكتمل نسقيته مع "بورس"، إذ تنهض لديه كل الاستدلالات الجبرية على دعامة العلامات وتصنيفها على أساس وظائفها، ثم السعي إلى البحث عن مماثلتها مع استعمالات اللغة العادية، حيث يمكن حينئذ تحويلها إلى علامات مماثلة للعلامات الجبرية. فكل السيرورات اللغوية بوصفها أداة استدلال عقلي يمكن التعامل معها على أنها أنساق سيميائية مركبة."²¹²

وما يتبين لنا من المقولات السابقة التي كان أصحابها يؤمنون بلغة الحساب هي التي جعلت منطقش.س. بورس يتأثر بالرياضيات "لأنها أكثر المعارف تجريدا وهي سابقة على المنطق حسب تصنيفها للعلوم، كما أصبحت تعتمد على العبارات الرمزية ذات الصيغ الجبرية بوصفها لغات اصطناعية تتجاوزعزل اللغات الطبيعية، وتتجرد لغتها السيميائية من تبعيتها للمضامين المادية، وتكتفي بأشكالها الصورية، حيث إن الضرورة في الاستدلالات الصورية لا تكون مقبولة إلا في الرياضيات التي أصبحت علاقاتها حميمة مع المنطق في التفكير المعاصر من حيث هو ضمان لمرتكزاتها ومبادئها. لقد ارتسم منطق "بورس" في مجال "جبرالعلامات" على الرغم من أنه لم يكن يسعى البتة إلى تحويل المنطق إلى رياضيات أو "جبرنة" المنطق على طريقة جورج بول"²¹³ ويجب التنبيه هنا إلى أن "جبر المنطق لم يحقق نجاحه" الباهر من منظورالسيميائيات إلا مع "كوتلوب فريج الذي استدرج المنطق إلى مملكة الرياضيات"²¹⁴ وما يمكننا قوله هنا أن مناقشة الباحث لمقولات أقطاب المعرفة الإنسانية من أمثال : ديمقريطس وأفلاطون وأرسطو والمنطق الرواقي، مرورا بمقولات أوغسطين وفلاسفة القرون الوسطى من غربيين ومسلمين، وصولا إلى دوسوسيروش.س. بورس وصولا إلى غريماس ورولان بارت وكارناب وغيرهم كذلك يدل على السعي المعرفي للباحث من أجل تجاوز مركزية المعرفة واحتكارها ونبذ الخضوع لمقولة أو نظرية ما في النقد.

²¹² - يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة، ص 129.

²¹³ - م، ن، ص 128.

²¹⁴ - م، ن، ص 128.

ومن هنا نقف على حقيقة مفادها أن السيميائيات سواء كانت ذات منطلق لساني أو منطلق فلسفي فإن جذورها تمتد في التراث المعرفي والفكري للثقافة الغربية بل الإنسانية ككل. وأن الذي يكتفي بما تم إنجازه دون الاطلاع على التراث الفلسفي والفكري السابق لهما لا يمكنه أن يدعي بأنه ألم بالسيميائيات وفهم نظرياتها واتجاهاتها. وأن الذي يتأكد لنا أن السيميائيات الحديثة قد امتحت مقولاتها ومصطلحاتها من التراث الفكري الإنساني، وأن الفهم الجيد له يتطلب منا الرجوع إلى أصولها الأولى.

أهمية الخطاب السيميائي في النقد.

بعد أن وفر الخطاب التنظيري الأدوات الإجرائية اللازمة التي تساعد الناقد في تعامله مع النص الإبداعي لنا أن نتساءل عن أهمية هذا الخطاب في بلورة المشهد النقدي . يقول سعيد بن كراد: "نحن نعتقد أن ما هو أساس في أية نظرية ليس التقنيات والأدوات والمفاهيم المعزولة، إن هذه الأدوات أمر لاحق، ولا تشكل في نهاية الأمر سوى وجه مرئي لأساس معرفي هو وحده الضامن لهوية النظرية ووجودها."²¹⁵ ومن هنا فالعودة إلى الأصول المعرفية المحددة لهدف السيميائيات يصبح ضروريا، لتوفر تلك الأصول المعرفية معناها للضمان الحقيقي للتطبيق السليم للنظرية. فأى نظرية فكرية إلا ولها أصول معرفية انبثقت عنها. وكلنا يعلم بأن هناك فرق بين الخطاب التنظيري والخطاب التطبيقي، وأن الأول يتأسس من خلال المقولات الفلسفية والفكرية الواعية بحركة المد الثقافي في صلب الحياة، وعلاقته بالكون وما وراءه، وبالإنسان وما يصدر عنه، وبذلك فهو خلاصة جهد فكري مضمّن، له أصوله ومصادره، يمتحن آلياته ويضبط مقاصده . أما الثاني فوجوده مرتبط بما يوفره لها لأول من أدوات إجرائية تساعده في مواجهة النصوص الإبداعية، وإن كان يحتاج إلى فهم وتبصر بتلك الأدوات الإجرائية التي يستعملها. ويترتب عن ذلك أن التنظير سابق والتطبيق لاحق، وهنا تبرز إشكالية معرفة الخلفيات الخفية للخطاب التنظيري، وأهميتها في فهم آليات بنائه ومقاصد مصطلحاته وعليه يصبح الخطاب التأسيسي ضروريا . فلا يمكننا ادعاء معرفة السيميائيات ونحن نجهل الأسس المعرفية التي كانت السبب في وجودها . فالخطاب

²¹⁵ - بنكراد سعيد، السيميائيات و التأويل، ص 29.

الفصل الثاني: امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغربي

التأسيسي هوالذي يكشف عن بواطن التنظير ويهيئ الأرضية للتطبيق النقدي الجزائري وبذلك يكشف عن أمور كثيرة كانت غائبة عن الذين يشتغلون في الحقل السيميائي.

خاتمة

وفي الختام نحاول أن نلخص أهم النتائج التي توصلنا إليها عبر فصول هذا البحث ومباحثه، وذلك لتبيان أهم العلاقات بين كل من البلاغة الجديدة وتياراتها المختلفة، والنقد المغاربي بكل اتجاهاته.

إن كان مصطلح البلاغة الجديدة ذاته قد ظهر عام 1958، في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر "بيرلمان" تحت إسم "مقال في البرهان: البلاغة الجديدة". فإن بلاغة الحجاج قد تأسست في فكر أرسطو حيث وضع كتابه الخطاب.

يعتمد كتاب بيرلمان على محاولة لإعادة تأسيس البرهان أو المحاولة الاستدلالية باعتباره تحديداً منطقياً بالمفهوم الواسع كتقنية خاصة ومتميزة لدراسة المنطق التشريعي والقضائي على وجه التحديد وامتداداته إلى بقية مجالات الخطاب المعاصر كما يرى صلاح فضل، وقد عرفت هذه المدرسة فيما بعد بمدرسة بروكسل وتفرعت إلى تيارات عديدة متخالفة في الأعوام التالية، إذ انبثقت من دراسة المنطق القضائي لكنها لم تلبث ان تجاوزته إلى الفلسفة والإبيدولوجيا، حتى انتهت في آخر عقد الثمانينيات إلى ما يطلق عليه أزمة الشكلانية والطبيعة الجديدة ويلاحظ عموماً أنّ مبادئها تدور حول وظيفة اللغة التواصلية وأنها ليست ذات صلة بالتقاليد البلاغية الكلاسيكية، على اعتبار أنّ منظر الخطاب البرهاني يهتم بدوره بالأشكال البلاغية لأدوات أسلوبية ووسائل الإقناع والبرهان.

وهذا التوجه لا يمثل إلاّ تياراً واحداً من بين تيارات البلاغة الجديدة، والذي يمكن وسمه بالتيار الحجاجي.

أما التيار الثاني فنشأ في منتصف الستينات، وامتد مشروعه خلال العقدين التاليين ولم تكن له علاقة ببلاغة بيرلمان المنطقية بل إنه من بعض النواحي يعمل في الاتجاه المضاد له ولمدرسة بروكسل كلها، وقد ولدت هذه البلاغة الجديدة في حضانة البنيوية النقدية ذات النزوع الشكلاني الواضح، وتتمثل جدتها في أنها تقوم ضد التقاليد المدرسية للبلاغة الفيلولوجية، ويمثلها جماعة ممن أطلق عليهم البلاغيون الجدد معظمهم في فرنسا مثل (جينيت وكوهن وتودوروف وجماعة مو "لييج")، ويلتقون في كثير من مبادئهم وإنجازاتهم بالدراسات المجازية واللغوية في الثقافة الانجليزية والأمريكية على اختلاف في المناهج والغايات غير أنهم يستمدون أفقهم المعرفي من تيارات تحديثية تتزامن مع حركات تجديد أخرى مثل النقد الجديد.

ويأتي الاتجاه الثالث لتحليل الخطاب بمنهج وظيفي مجاوز للاتجاه البنيوي ومعتمد على السيميولوجيا من ناحية والتداولية من ناحية أخرى وقد تحول إليه في نهاية السبعينات بعض أنصار التيار الثاني كما فعل تودوروف الذي اعترف سنة 1979 بأن السيميولوجيا يمكن أن تفهم باعتبارها بلاغة معاصرة، وقد اتفق أن مفهوم بلاغة الخطاب مرهون بالاعتداد بها كعلم لكل أنواع الخطاب، إنه علم عالمي في موضوعه وفي منهجه، ومهما اختلفت الأسماء التي تطلقه عليه فإننا نجد من يسميه النحو العالمي للخطاب، في مقابل من كان يحصره في الخطاب القضائي أو الأدبي.

وانطلاقاً من هذا الأثر في النقد المغربي، يمكننا القول بأن النقاد المغاربة قد أثروا الحقل الثقافي المحلي خصوصاً والعربي عموماً بما ترجموا وبما أبدعوا؛ فالمقاربات الأسلوبية ذات الأصول البنيوية، قد حظيت بنصيب وافر في المنجز النقدي العربي على العموم، وفي النقد المغربي بشكل خاص، فكان من ثمرات هذه المقاربات، أن تمتعت بحضور ملفت في جامعاتنا نظراً للعلاقة الوطيدة للأسلوبية بالبلاغة ومع توفر إرث بلاغي عربي كبير يمكن الباحث من إضفاء الهوية العربية على هذا المفهوم وكان الدكتور حمادي صمود أحد الذين انشغلوا بتأصيل النظرية الأسلوبية إلى جانب اهتمامه بنظرية الحجاج.

ومن فضائل الاتجاهات البلاغية الجديدة، استثمار النقاد العرب لنظرية المنهج الشكلي حين انتبهوا إلى أهمية التفريق بين مفهوم الشعر المتغير بتغير الزمان وبين الوظيفة الشعرية (poetics) والتي لا يمكن اختزالها بشكل ميكانيكي إلى عناصر أخرى كما ينبه إلى ذلك جاكسون في قضايا الشعرية، وهذه القضية قد أثارت إعادة طرح السؤال عن ماهية الشعر أو جوهره في الثقافة العربية.

ومع ظهور النظريات المهمة بالبعد الحجاجي في شتى أنواع الخطاب في الثقافة الغربية انبرى النقاد العرب كحمادي صمود لاستثمار الآليات الحجاجية من خلال تطبيقها على البلاغة العربية، لاسيما التراثية منها، لاستكناه عديد التيارات الفكرية المبتوثة في التراث العربي، إذا ما سلمنا أن البلاغة العربية التراثية كانت مزيجاً هائلاً من المعارف المتداخلة.

وهذه البؤرة هي التي عمل عليها محمد العمري حين أسس مشروعه في إعادة التأسيس للبلاغة العربية، مولياً عناية خاصة بالبحث في البلاغة العربية القديمة و التأليف فيها فضلاً

عن سعيه لتحيين البلاغة العربية و كذا إصراره على عملية التحيين لها منطلقا من العمل على الفصل بين ما هو شعري و ما هو خطابي في التراث البلاغي العربي، مستفيدا من تطبيقات البلاغة الغربية التي لم يطرح عندها هذا الإشكال، باعتبارها (البلاغة) تُعني عندهم بكل أشكال الخطاب بشقيه الشعري التخيلي والخطابي التداولي. و أما بلاغتنا العربية و فقا ل طرح العمري فقد مورس عليه خلط عبر تاريخها الطويل ، و هذا ما يستوجب، لتحيينها، نمط قراءة محدد يرتبط بفهم المادة البلاغية التراثية أولا، ثم العمل على تقريبها من المتلقي العربي وفق اسئلة منهجية جديدة عبر مساءلة المنجز التراثي بأدوات منهجية حديثة.

إن التقسيم الذي مورس على البلاغة العربية (المعاني و البيان و البديع) قد قزمها و حد من فاعليتها على تحليل الخطاب و لذا كان على العمري إعادة صياغة الاسئلة البلاغية في علاقتها بالخطاب وفق تصور جديد يعالج البلاغة باعتبارها نسقا متكاملا تتحقق فاعليتها بتظافر أجزائها و في علاقتها مع المتلقي. فالبلاغة العربية ، كما يقول العمري، أوسع كثيرا من اعتبارها مجزأة إلى معان و بيان و بديع، و قد صار لدين اليوم من الوسائل المنهجية ما يؤهلنا الى مراجعة قراءة السكاكي و إبراز طابعها الانتقائي كما فعل الغربيون حين أعادوا الاعتبار لبلاغتهم القديمة انطلاقا من نضرة شمولية تسمح بها المناهج الحديثة.

و في الدراسات البلاغية المتعلقة بالبعد الحجاجي، نجد حمادي صمود قد قارب النظرية الحجاجية العربية بالنظرية اليونانية خلال تاريخهما الطويل ليخرج بنتيجة أن الدرس البلاغي العربي يركز اهتمامه على الجملة باعتبارها مناط ” الإعجاز ومناط ما يمكن أن نسميه الروعة والجمال، في الوقت الذي أنتجت فيه الثقافة اليونانية القديمة درسا يقوم على الحجاج و اقتناص سبل الإقناع، ومنذ البداية يفرق حمادي صمود بين المصطلحين الشائعين في الدراسات النقدية العربية وهما مصطلحا: البلاغة و *Rhétorique* ، والتي درجت المصنّفات المترجمة خاصة على التسوية بينهما، قائلا: "إن الحقل المعنوي أو الدلالي لكلمة *Rhétorique* " لا يطابق في الأعم الحقل الذي تبنيه كلمة "بلاغة في السنن العربية"، بدليل أن المترجمين القدامى أدركوا هذا الفرق الدلالي بين المصطلحين، فكانوا يترجمون عنوان كتاب أرسطو بـ"ريطوريقا محتفظين بالمصطلح الأصلي، لإيمانهم بأنه يدل على موضوعه خاصة، والذي يختلف بطبيعة الحال عن الموضوع الذي تتناوله البلاغة العربية. ثم لم يلبث أن دخل الفلاسفة ميدان الترجمة فترجموا عنوان الكتاب بـ " الخطابة "، كما فعل

الفارابي، ذلك أن "الخطابة عند أرسطو صناعة مدارها إنتاج قول تبتغي به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش، بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسا من التأثير، يوجه به فعله أو يثبت لديه اعتقادا أو يمليه عنه أو يصنعه له صنعا.

ولما كانت الخطابة صناعة بطبيعتها، وكان هدفها هو التأثير في المتلقي، لحمله على فعل شيء أو تركه أو الاقتناع برأي أو إبطاله، كان لزاما عليها أن تتوفر على جملة من الاعتبارات المحيطة بالعملية التخاطبية، منها ما يرجع إلى المتكلم، ومنها ما يرجع إلى المتلقي، ومنها ما يرجع إلى بنية الخطاب في حد ذاته.

أما ما يرجع إلى المتكلم فيجمعها أرسطو في خطابته تحت مصطلح **Ethos**، وهو يعني مجموعة من المواصفات الذاتية للمتكلم التي تكون أدعى للمتلقي أن يكون في موقع القابلية للاقتناع، كالصدق والنزاهة والبعد عن السفسطة أو المراوغة والخداع. أما ما يرجع إلى المتلقي فيجمعه أرسطو تحت مصطلح **Pathos**، ويعني به توجه المتكلم إلى إثارة الجانب الشعوري عند المتلقي، وهو جانب له امتداداته العميقة في النفس الإنسانية، وهو لا يتطلب بالضرورة المرور على جملة الاستدلالات المنطقية المضنية، التي قد لا تكون في متناوله، والتي ترهقه وتحمله على النفور. وأخيرا منها ما يرجع إلى بنية لغة الخطاب في حد ذاتها، والتي يجمعها مصطلح " **Logos** "، وهو ما يبينه الخطاب من وجوه الاستدلال المتحقق بالاستقراء والقياس، ويهدف إلى خلخلة المنظومة النظرية للخصم، ويهدم أسسها، فيجرده من أسلحة الدفاع ويحمله على الإذعان. وعلى هذا الأساس يرى حمادي صمود أن تكون مقومات الخطاب مبنية على مجموعة من الدعائم الثابتة، التي يستقرئ أصولها في التراث البلاغي العربي وفي التراث اليوناني القديم على السواء، وهي :

البصر بالحجة: وهذا الاصطلاح هو في الحقيقة اصطلاح عربي خالص، وهو اصطلاح الجاحظ في البيان والتبيين. أما في اصطلاح أرسطو فهو **Eurisis** و في الاصطلاح اللاتيني **Inventio**، وهي تؤدي معنى الظفر بالشيء والوقوع عليه، أو حسن التدبير والتقاط

المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حين يسد المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها

ترتيب الأقسام : Disposito Taxis ونعني به ترتيب أقسام الكلام بين ما يكون للاستمالة وتهيئة الأسماع، وبين ما يكون للاستدلال والبرهان، وبين ما يكون نتيجة الخطاب وهدفه وغايته التي يتوخاها. فإن أجزاء الخطاب، لكي تعطي مفعولها، يجب أن تنتظم في سياق معين. ومهما تكن قوة الحجج والبراهين؛ فإنها ستكون عديمة الفائدة والنفع، إذا لم تكن منتظمة في سياق معين. هذا السياق هو الذي يمنحها القوة المنطقية والحيوية الاستدلالية.

العبارة : Elocutio Lexis وهي المرحلة الأخيرة من مراحل العملية التخاطبية، وفيها يتم إخراج ما كان في حكم الإمكان إلى ما يكون في حكم الواقع. وعبارة أخرى تعمل الصياغة اللفظية إلى إخراج ما كان يعتدل في نفس الخطيب إلى وجود مادي على هيئة بنية لفظية قابلة للفهم. وهنا يكمن لب المشكل التي نريد مناقشته، وهي اهتمام الدرس البلاغي، العربي منه على وجه الخصوص، بالقسم الأخير من أقسام الخطاب، المتعلق بالبنية اللفظية، وإهمال الجوانب المتعلقة بالبنية الذهنية، التي هي في الحقيقة الأصل والمنطلق. وعلى اعتبار أن البنية الذهنية غير متجسدة ولا يمكن التعامل معها مباشرة بصورة ملموسة، إلا أنها تعتبر المرجع الحقيقي لأي خطاب ناجح. و سرعان ما أصبح هذا التوجه هو التوجه المهيمن، وغدت المقولات النقدية العربية تركز على جانب العبارة فقط، وأنتج هذا الفعل التباسا شاملا تم على أساسه المزج بين مفهوم " الخطاب - Discours" ومفهوم " النص - Texte".

تختلف إذن الظروف التاريخية والثقافية التي نشأت في أحضانها البلاغة العربية عن الظروف التاريخية والثقافية التي نشأت في أحضانها الخطابة اليونانية. لقد كانت الدواعي إلى نشأة البلاغة مختلفة تماما عن دواعي نشأة الخطابة. ولقد كانت جميعا تدفع الدارس إلى الاهتمام بالخطاب، لا فيما يمكن أن يعرضه من الأفضية وبينيه من الحجج ويعبر عنه من الحقائق، وإنما إلى صورته وشكله وما يتوفر فيه من طرق القول وأساليب التعبير ...

فالبلاغة ظهرت تباشيرها في أحضان الشعر، والشعر وقعه من إيقاعه، وفضله من هيئة القول فيه ... ولم يغير ظهور القرآن من الأمر شيئا، بل قواه وثبته حتى غدا التفوق وبلوغ النهايات مرتبطا في أذهان الناس بالشكل والمظهر.

و أما عن إسهامات الناقد أحمد يوسف، في إثراء الساحة النقدية متبنيا المنهج السيميائي، فهي تشف عن مدى الوعي الحدائي بالنظريات الغربية الحديثة تنظيرا وتطبيقا، كما هو متضح من قراءته لبعض التجارب الإبداعية. ومن النظريات الحدائية التي تم التركيز عليها هي البنيوية والسيميائية والتفكيكية والأسلوبية ونظريات القراءة والتلقي.

وفق منهجية جديدة في الطرح والتصور، إن عناوين مؤلفاته تفتح أفقا لا محدودا من الدلالات الحيوية والفعالية، وتولد مفاهيم جديدة في النقد الأدبي الحديث مهمة جدا و هي مفاهيم لا بد من تأصيلها والتعامل معها بإدخالها في نسق علائقي مع أنساق النقد العربي قديمه وحديثه.

إن عنوانا مثل " تهافت المعنى وهباء الحقيقة دراسة في البلاغة السفسطائية" يفتح على قراءة لما هو منتج عالميا وفق نظريات ما بعد البنيوية في التفكيكية وتشريح النص، متمثلة بمفكر عظيم مثل جاك ديريدا الذي رفض استقرار الدال بمدلول واحد، ونمى فكرة تعدد الدلالات وقبول الأنساق الثقافية المتغيرة والاعتراف بها كونها أشكالا تصب ببنية الحياة الكبرى. بل إن عنوانا مثل العنوان السابق، يجعلنا نجاوز أي قراءة نمطية، ومسبقة، بما أن الحقيقية متعددة بتعدد الملابسات، وإن المعنى ليس قاسما مشتركا يتقاسمه جميع الناس لأنه مرتبط بتعدد الثقافات وملابسات مختلفة في البيئة التي يقرأ بها النص، كل هذه المعطيات تجعلنا نعمل القراءة في النص، ولا نقبل الحقائق الناجزة من أبواق الإعلام ولا من مدعي الثقافة، بل البحث عن عدة أنساق للحقيقة.

و لعل ما يدعم هذا التصور، هو قول ناشر أحد كتب الدكتور أحمد يوسف "القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة":

"وقد أوضح هذا البحث المأزق الذي انتهت إليه القراءة النسقية التي اختارت مبدأ المحايثة ضمن منهجها التصوري. فالنص ليس نسقا مغلقا؛ وإن كان قد من كيان لغوي فسيظل نسقا مفتوحا مليئا بالفجوات والثغرات. وهذا سرّ جماليته، وأساس أدبيته، بل إن شعرية الغياب وجمالية الفراغ تشكلان قوامه الجوهرية".

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

1. بسيوني عبد الفتاح بسيوني، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د ط، مكتبة وهبة، القاهرة، دت.
2. بليت هنريش، البلاغة و الاسلوبية، ترجمة و تقديم محمد العمري، د ط، 1 افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1990.
3. بن حسن حسن، النظرية التأويلية عند بول ريكور، ج، ج، تينسيفت، مراكش ط 1992، 1
4. بن ذريل عدنان، النص و الاسلوبية بين النظرية و التطبيق، د ط، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دت.
5. بومزبر الطاهر، التواصل اللساني و الشعرية مقارنة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون، منشورات الاختلاف ط، 1، 2007
6. بيير جيرو، الأسلوبية، ط2، مركز الانماء الحضاري، حلب، 1994.
7. جاكبسون رومان، قضايا الشعرية، ترجمة محمد الوالي ومبارك حنون دار توبقال المغرب 1988
8. جان ميشال غوفار، تحليل الشعر، ترجمة محمد حمود، طريق المعرفة، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر 2007.
9. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، المحقق: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 2001
10. الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2004.
11. جون كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي و محمد العمري، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1986
12. حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره الى القرن السادس منشورات كلية الآداب منوبة ط2
13. حمادي صمود في تجليات الخطاب البلاغي، تونس، دار قرطاج للنشر و التوزيع ط1، 1999
14. سالم أمين الطلبة محمد، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، الكتاب الجديد
15. السد نور الدين، الأسلوبية و تحليل الخطاب ج2، دار هوما للطباعة و النشر و التوزيع الجزائر 1997
16. الصاوي أحمد عبد السيد، مفهوم الاستعارة، د ط، منشأة المعارف، الاسكندرية، 1988.
17. الطرابلسي محمد الهادي، النص وقضاياها جون كوهن، مجلة فصول ع 1 م5 الهيئة المصرية للكتاب القاهرة 1984
18. عبد الله الغدامي، نشر يح النص، ط 1 دار لطبعة للطباعة و للنشر ن بيروت، 1987
19. عبد المجيد جميل، بلاغة النص، د ط، دار غريب، القاهرة، 1999.
20. عبد المنعم خفاجي محمد و آخرون، الأسلوبية و البيان العربي، ط1، الدار المصرية للكتاب، القاهرة، 1992.

الفصل الثاني: امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغربي

21. أبو العدوس يوسف، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن 1997
22. أبو العدوس يوسف، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط1، دار الأهلية، عمان، 1997.
23. العمري محمد، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول"، بدار إفريقيا الشرق 2005م.
24. العمري محمد، البلاغة العربية الأصول و الامتدادات"، الطبعة الأولى 1998.
25. العمري محمد، في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، ط2 أفريقيا الشرق 2002
26. العمري محمد، الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية، المغرب، إفريقيا الشرق 2001
27. العمري محمد، تحليل الخطاب الشعري، ط1، الدار العالمية للكتاب،، الدار البيضاء، 1990
28. فضل صلاح، علم الأسلوب مبادئه و إجراءاته، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1998.
29. فضل صلاح، بلاغة الخطاب وعلم النص ، عالم لمعرفة، لمجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت 1992
30. - فكتور إيرليخ، الشكلانية الروسية، ترجمة : محمد الولي (المركز الثقافي، الدار البيضاء 2000
31. قصاب وليد، التراث النقدي و البلاغي عند المعتزلة، ط1، دار الثقافة، الدوحة، 1985.
32. -جورج لايفوف ومارك جونسن: الاستعارات التي نحيا بها. ترجمة: عبد المجيد جحفة، ط 1 دار توبقال للنشر- الدار البيضاء، 1996.
33. محمد سالم أمين الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008.
34. المسدي عبد السلام، ط3، الدار العربية للكتاب، طرابلس، دت.
35. مطلوب أحمد و البصير حسين، البلاغة و التطبيق، ط2، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، العراق، 1999.
36. ناصف مصطفى، اللغة و البلاغة و الميلاد الجديد، ط1، دار سعاد الصباح، الكويت، 1992.
37. يوسف عبد الله هاشم زينب، الاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، 1994.

➤ المجلات و الدوريات:

- 01 مجلة علامات، النادي الثقافي الأدبي بجده.
- 02 مجلة فكر و نقد.

الفصل الثاني: امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغربي

03 مجلة نزوى ، مؤسسة عمان للصحافة و النشر و الإعلان، مسقط ، عمان
04 مجلة أيقونات، منشورات رابطة سيما للأبحاث السيميائية، الجزائر.

➤ مواقع الإنترنت:

www.adabjeddah.com
www.aljabriabed.net
www.saidbengrad.net

فهرست المحتويات

فهرس المحتويات

03	مقدمة.....
08	الفصل الأول: أصول البلاغة الجديدة في الثقافة الغربية
09	1/ البلاغة الأرسطية.....
011	2/ اتجاه البلاغة و الأسلوبية.....
19	3/ اتجاه البلاغة و الحجاج.....
24	4/ اتجاه البلاغة و الشعرية.....
30	5/ اتجاه البلاغة العامة.....
33	6/ اتجاه الفلسفة والبلاغة.....
37	7/ البلاغة والاستعارة المعرفية.....
41	8/ اتجاه التاويل و البلاغة.....
47	الفصل الثاني: امتدادات البلاغة الجديدة في النقد المغربي:
47	1- اتجاه البلاغة و الحجاج.....
56	2- بلاغة تقاطع التخيل و التداول.....
80	3- البلاغة و السميائيات.....
94	خاتمة.....
98	قائمة المصادر و المراجع.....
101	فهرس المحتويات.....